الفصل الأول

معركة الجمل

obeikan.com

الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان ﷺ سبباً في حدوث كثير من الفتن الأخرى ، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها ، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان ﷺ ، منها: الرخاء وأثره في المجتمع ، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده ، مجيء عثمان بعد عمر ، خروج كبار الصحابة من المدينة ، العصبية الجاهلية ، توقف الفتوحات ، الورع الجاهل ، طموح الطامحين ، تآمر الحاقدين ، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان ، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس ، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة ، وقد تم تفصيل تلك الأسباب في كتابي "سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان"[1] .

إن عثمان ﷺ كان الناس يحبونه حباً عظيماً ، لحسن سياسته ولمكانته مع رسول ﷺ وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سمي بذي النورين فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة ، ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء وكان في استطاعته أن يقضي عليهم ولكنه امتنع خوفاً من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد ﷺ فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل ، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء ، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه ، ولذلك كان مقتله سبباً لحدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن ، ولقد كان مقتله عظيماً على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحدث الجلل ، وانقسم الناس ، ومما يزيد من مكانته وبراءته مما نسب إليه مواقف الصحابة من قتله ، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية ، وهذا ما سيأتي بيانه ، بإذن الله .
ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عموماً:

أولاً : أثر السبئية في إحداث الفتنة :

(١) السبئية حقيقة أم خيال : حقيقة عبد الله بن سبأ :

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة ، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار ، علماً بأنه وردت روايات عند ابن عساكر تذكر عبد الله بن سبأ ليس من رواتها سيف بن عمر ، وقد

(١) عثمان بن عفان للصلابي ص (٣١١ - ٣٤٠) .

حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند [١] .

وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم ، وليس فيها عمر هذا ، لا من قريب ولا من بعيد ، وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ [٢] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة ، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين ، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم ، وهي محاولتهم الفاشلة لتبرئة أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بمن فيهم الشيعة .

وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل؟ وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق ، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق ، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة ، ودور ابن سبأ فيها لم يكن قاصراً على تاريخ الإمام الطبري ، واستناداً على روايات سيف بن عمر التميمي فيه وإنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين ، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلاً لا أكثر .

ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها سيف ابن عمر كما أسلفنا إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار ، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء ، وتزييف الحقائق التاريخية ، فمتى كانت المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً والإعراض

---

(١) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي ، للعودة ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني .

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٢٨٤) ذكر تفصيلات مهمة ، وكذلك عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ، للعودة .

عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟ [١] .

وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيراً منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان [٢] المتوفي عام ٨٣هـ وقد هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فر مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية ::: وأني بكم يا شرطة الكفر عارف [٣]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفي عام ١٠٣هـ (٧٢١م) تفيد كذب عبد الله بن سبأ [٤] ، وتحدث ابن حبيب [٥] المتوفى عام ٢٤٥هـ (٨٦٠م) عن ابن سبأ حينما اعتبروه أحد أبناء الحبشيات [٦] ، كما روى أبو عاصم خشيش بن أصرم المتوفى سنة ٢٥٣هـ ، خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة [٧] ، ويعتبر الجاحظ [٨] المتوفى في ٢٥٥ هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ [٩] ، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروي الدكتور جواد علي [١٠] ، وخبر إحراق علي بن أبي طالب ﷺ لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد [١١] ، ولفظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته .

ويقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ [١٢]

ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ، ضال مضل [١٣] .

ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة وله أتباع يقال لهم: السبئية

---

(١) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة ، تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٧٠)

(٢) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمداني ، المعروف بأعشى همدان .

(٣) ديوان أعشى همدان: ص (١٤٨) .

(٤) تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٩ / ٣٣١) .

(٥) تاريخ بغداد (٢ / ٢٧٧) .

(٦) عبد الله بن سبأ للعودة ص (٥٣) ، المحبر ، ابن حبيب: ص (٣٠٨)

(٧) تذكرة الحفاظ (٢ / ٥٥١) ، شذرات الذهب (٢ / ١٢٩) .

(٨) وفيات الأعيان (٣٠/ ٤٧٠) .

(٩) البيان والتبيين (٣ / ٨١) .

(١٠) تحقيق مواقف الصحابة (٨ / ٢٩٠) .

(١١) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (٥٣) .

(١٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٨٣) .

(١٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٢ / ٤٢٦) .

معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب ، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته [١] .

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل ، يقول ابن حبان المتوفى ٣٥٤هـ: وكان الكلبي - محمد بن السائب الإخباري - سبئياً ، من أصحاب عبد الله بن سبأ ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت وأنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة: وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها [٢] وكما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ وهم الغلاة من الرافضة ، وابن سبأ أصله من اليمن ، كان يهودياً وأظهر الإسلام [٣] ، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيفاً فيها ، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره [٤] .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتداع بن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي وادعى الإمامة والنص عليه ، وادعى العصمة له [٥] ويشير الشاطبي [٦] المتوفى عام ٧٩٠هـ إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله - تعالى - وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات [٧] ، وفي خطط المقريزي المتوفى عام ٨٤٥هـ ، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي محدثاً القوم بالوصية والرجعة والتناسخ [٨] .

وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ: فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية ، قال: حدثني سعد بن عبد الله قال: حدثني يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى ، عن علي بن مهزيار ، عن فضالى بن أيوب الأسدي ، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً ، الويل لمن كذب علينا ، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله

---

(١) لسان الميزان لابن حجر (٣ / ٣٦٠) .
(٢) المجروحين من المحدثين ، أبو حاتم (٢ / ٢٥٣) .
(٣) الأنساب (٧ / ٢٤) .
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٢٩٨) ، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (٥٤) .
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤ / ٤٣٥) .
(٦) إبراهيم بن موسى ، محمد الغرناطي توفي عام ٧٩٠ .
(٧) الاعتصام (٢ / ١٩٧) .
(٨) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

منهم [١] والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحة [٢] .

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه ، ولكن موصولاً بسند آخر ، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل [٣] .

وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ ، أو التشكيك في أخباره ، بحجة قلة ، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره [٤] .

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء ، وهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن[٥] ، وفان فولتن [٦] وليفي ديلافيد [٧] ، وجولد تسيهر [٨] ، ورينولد نكلسن [٩] ، وداويت رونلدس [١٠] . على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني وبرنارد لويس [١١] وفريد لندر [١٢] المتأرجح علماً بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا .

ومن يستقرئ المصادر ، سواء القديمة والمتأخرة ، عند السنة والشيعة ، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجوداً تؤكده الروايات التاريخية ، وتفيض فيه كتب العقائد ، وذكرته كتب الحديث ، والرجال والأنساب والأدب ، واللغة ، وسار على هذا النهج كثير من

---

(١) رجال الكشي (١ / ٣٢٤) .
(٢) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة ، لمحمد علي المعلم: ص (٣٠) .
(٣) عبد الله بن سبأ ، سليمان العودة: ص (٦٢) .
(٤) عبد الله بن سبأ ، سليمان العودة: ص (٦٢) .
(٥) الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهاوزن: ص (١٧٠) .
(٦) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات: ص (٨٠) .
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٢١) .
(٨) العقيدة والشريعة الإسلامية ، جولد تسيهر: ص (٢٢٩) .
(٩) تاريخ العرب الأدنى في الجاهلية: ص (٢٣٥) .
(١٠) عقائد الشيعة: ص (٥٨) .
(١١) أصول الإسماعيلية (٨٦) .
(١٢) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣١٢) .

المحققين والباحثين والمحدثين ، بيد أن أول من شك في وجود ابن سبأ المستشرقون ، ثم دعم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده البتة .

وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين ، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين ، ولكن هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته ، والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات [١] ، ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون ، وعبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام للدكتور سليمان بن حمد العودة .

(٢) دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة :

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها ، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية ، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء ، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة [٢] ، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في إحداث الفتنة ، كعامل من عواملها ، على أنه أبرزها وأخطرها ، إذ أن هناك أجواء للفتنة مهدت له ، وعوامل أخرى ساعدته ، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة ، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه وهو الدس في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته ، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده ، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ وتفرق الأمة شيعاً وأحزاباً [٣] .

وخلاصة ما جاء به: أن أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس ، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية ، لبس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه ، فطرق باب القرآن بتأوله على زعمه الفاسد حيث قال: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣١٢) .
(٢) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة) .
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣١٢) .

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[١]، كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلي رضي الله عنه بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصى محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء[٢].

وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان ﷺ، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوا إلى هذا الأمر [٣]، وبث دعاته، وكاتب من كان في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون، ، ويسترون غير ما يبدون فيقول أهل مصر: إنا لفي عافية مما فيه الناس [٤].

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصباً وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس - خاصة في الكوفة - على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علماً بأنه ركز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقراء استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان، مثل تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٣٤٧).

والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان ﷺ مع براءته ، ثم أنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار ، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه ، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[١] .

هذا وقد شعر عثمان ﷺ بأن شيئاً ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[٢] .

على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو مصر ، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان ﷺ ويحث على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق ، ووثب علي وصي رسول الله ﷺ يقصد[٣] علياً ، وقد غشهم بكتب ادعى أنها وردت من كبار الصحابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعاً ، حيث تبرأوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان[٤] ، ووجدوا عثمان مقدراً للحقوق ، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه ، ورد عليهم افتراءهم وفسر لهم صدق أعماله ، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك بن الأشتر النخعي: لعله مكر به وبكم[٥] .

ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها[٦] ، ولم يكن ابن سبأ وحده ، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم ، ويروي ابن كثير أن أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[٧] .

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية ، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم

---

(١) الدولة الأموية ، يوسف العشي: ص (١٦٨) ، مواقف الصحابة (١ / ٣٣٠) .
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٢٥٠) .
(٣) المصدر نفسه (٥ / ٣٤٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣٠) .
(٤) المصدر نفسه (٥ / ٣٤٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣٠) .
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣١) .
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٣٨) .
(٧) البداية والنهاية (٧ / ١٣٧ ، ١٣٨) .

ويوقع بينهم الفرقة والخلاف ، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكونت به الطائفية السبئية المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وما ترتب على قتله من فتن كمعركتي الجمل وصفين وغيرهما . والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيماً . إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس ، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أم في الكوفة أم في مصر ، مستغلة العصبية القبلية ، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي ، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون [١] .

ثانياً : اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان ﷺ :

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة ، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى ، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين على وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين فقد كان هذا محل إجماع بينهم .

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة ، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأي تقديم أخذ القود من قتلة عثمان ﷺ على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان [٢] .

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدّع الخلافة ، ولم يبايع له بها حين قاتل علياً ، ولم يقاتل على أنه خليفة ، ولا أنه يستحق الخلافة ، ويقرون له بذلك وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه ، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا علياً وأصحابه بالقتال ، ولا فعلوا[٣] .

وقال أيضاً: . . وكل فرقة من المتشيعين مقرة مع ذلك بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة ، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي ، فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ [٤] .

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحاً في خلافة أمير المؤمنين علي ﷺ وإنما اختلافهم في قضية

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١ / ٣٣٩) .
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٦٠) .
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٧٢) .
(٤) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٧٢) .

الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين علي موافقاً من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة [١].

قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد: أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه[٢].

ثالثاً: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية ﷺ ومن كان على رأيهم:

١ - السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

لما سمعت السيدة عائشة رضي الله عنها بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتسترت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت:

أيها الناس: إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب [٣]، واستعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص ١٥٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ١٤٩).

(٣) الأرب: الحاجة والدهاء، والفطنة والعقل.

غيرها ، فتابعهم ، ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا [١] ، وبادروا بالعدوان ، نبا فعلهم عن قولهم ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام ، والله لأصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، فنجاة [٢] من اجتماعكم عليه حتى ينكل بهم غيرهم [٣] ، ويشرد [٤] من بعدهم ، ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً نخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يمص الثوب بالماء [٥] .

وجاء في رواية عائشة رضي الله عنها حين انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي - أمير مكة - فقال لها: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر ، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام [٦] ، وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان ، ولعنها لمن قتله ، وروت في حقه أحاديث عن رسول الله ﷺ في فضائله ، فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها ، أنها سألت عائشة ، عندما أرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان ، فإن الناس قد أكثروا فيه ، فقالت: لعن الله من لعنه ، فوالله لقد كان قاعداً عند نبي الله وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليّ ، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول:

اكتب عثمان ، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله [٧] .

وعن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش ، فقال لها مسروق: هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه ، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليه بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا [٨] ، وقد مر معنا كذب السبئيين في

---

(١) خلجوا: تحركوا واضطربوا .
(٢) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم .
(٣) ينكل بهم غيرهم: حتى يروعهم ويروع بهم غيرهم .
(٤) يشرد: يفرق ويبدد جمعهم .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٣ ، ٤٧٤) .
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٥) .
(٧) المسند (٦ / ٢٥٠ - ٢٦٠) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٣٧٨) .
(٨) فتنة مقتل عثمان (١ / ٣٩١) ، تاريخ خلية ص (١٧٦) إسناده صحيح إلى عائشة رضي الله عنها .

كتابي عن عثمان بن عفان ﷺ وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذباً وزوراً للسيدة عائشة ، وقد جاءت رواية موضوعة ، وضعيفة أسانيدها واهية من رواية الكذابين وللأسف اتبعها بعض المعاصرين وراجت عليهم هذه الأكاذيب صورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضة تماماً للروايات الصحيحة السالفة الذكر وزعمت تلك الروايات الكاذبة أن السيدة عائشة رضي الله عنها ألبت على عثمان رضي الله عنه وقالت بوجود خلاف بينهما ، ونسبت إليها الاشتراك شبه الفعلي في قتله ، ونقل ذلك الطبري .

ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين، وإليك مثال ذلك:

ما ذكر الطبري قال: كتب إليّ علي بن أحمد بن الحسن العجلي ، أن الحسين بن نصر العطار ، قال: حدثنا سيف بن عمر ، عن محمد بن نويرة ، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد ، عن أسد بن عبد الله ، عمن أدرك من أهل العلم ، أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف [١] راجعة إلى مكة ، لقيها عبد أم أم كلاب - وهو عبد بن أبي سلمة ، ينسب لأمه - فقالت له: مهيم ، قال: قتلوا عثمان بن عفان ﷺ فمكثوا ثماني ، قالت: ثم صنعوا ماذا ، قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع ، فجازت بهم الأمور إلى خيار مجاز ، اجتمعوا على علي بن أبي طالب ، فقالت ردوني ، ردوني والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك . فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب: ولم ، فوالله ، إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً [٢] فقد كفر ، قال: إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت ، وقالوا ، وقولي الأخير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير ::: ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ::: وقلت لنا: إنه قد كفر

فانصرف إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحجر فتسترت واجتمع إليها الناس فقالت: إن عثمان قتل مظلوماً ، ووالله لأطلبن بدمه [٣] .

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري ، ويكفي أن في رجال الإسناد

---

(١) سرف: مكان بين مكة والمدينة على ستة أميال من مكة .
(٢) نعثل: رجل من أهل مصر كثيف شعر اللحية ، كان يشبه عثمان .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٥) .

نصر بن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية: شيعي منكر ، تركوه ، جلد[١] ، وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد ، وهو قائد السرية التي قاتلت الحسين ﷺ وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه ، متهم بالوضع متروك [٢] فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها [٣] وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة ، لا تثبت أمام النقد العلمي سارت على النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها [٤] .

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد وفي كتاب الأغاني ، وتاريخ اليعقوبي ، وتاريخ المسعودي ، وأنساب الأشراف ، وغيرها من الكتب ، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفان ﷺ لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة وقيامها على روايات واهية ، فأغلبها روايات غير مسندة ، والمسند مجروح الإسناد لا يحتج بروايته ، هذا إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكثر صحة وقرباً للحقيقة [٥] .

وقد قامت السيد الفاضلة والباحثة القديرة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة ، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره ، وبينت زيفها وكذبها ، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعاً ، لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد ، بل الطرق التي وصلت منها رمي أصحابها بالتشيع والكذب والرفض ، ولكننا عرضنا لها ، لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة ، وللتدليل على سقوطها ، فهي روايات - كما اتضح لنا - حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابة جميعاً ﷺ [٦] .

ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان ﷺ لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمردين ، لكن لم يصح عنها

---

(١) المغنى في الضعفاء (٢ / ٦٩٦) ، ميزان الاعتدال (٢٤ / ٧) التاريخ الكبير (٥ / ١٠٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤٩) ، الطبقات (٥ / ١٦٨) .
(٣) دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء ، ص ٣٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٣٥٢ .
(٥) دور المرأة السياسى في عهد النبي ﷺ والخلفاء ، ص ٢٧٠
(٦) المصدر نفسه ٣٧٠ .

رضي الله عنها شيء من هذا ، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رضي الله عنها وعن الصحابة الذين اشتركوا معها ، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات ، لكننا توقفنا أمام الروايات ، تأكيداً منا على سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها حتى تجتمع الأدلة الدينية ، والعلمية ، والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها بعضاً[١] ، إن الاتهامات التي وجهت إلى السيدة عائشة رضي الله عنها لا تثبت سنداً ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضاً .

٢ - طلحة والزبير رضي الله عنهما :

طلب طلحة والزبير ومن معهما من الصحابة من أمير المؤمنين ﷺ تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان ﷺ فقال لهم أمير المؤمنين علي ﷺ: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثاب إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا ، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، إن لهؤلاء القوم مادة ، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً .

إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور: فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق ، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ، ثم عودوا [٢] .

ولكن هذه السياسة الحكيمة لم يتفهم بها بعضهم فالناس في حال غضبهم وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكاً واقعياً يمكنهم من التقدير الصحيح ، فتنعكس في تقديرهم الأوضاع ويظنون المستحيل ممكناً ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره [٣] ، وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان [٤] ، وأخبر علي بمقالتهم ، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع هو ولا هم أن يفعلوا شيئاً في مثل تلك الظروف فنادى: برئت الذمة

---

(١) دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء ص٣٧١ .
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٠) .
(٣) المصدر نفسه (٥ / ٤٦٠) .
(٤) الدور السياسي ص ٣٨٨ .

من عبد لم يرجع إلى مواليه فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء [١] وكأن رواد الفتنة من السبئية تبادر إلى أذهانهم أن الخليفة يريد أن يجردهم من أعوانهم الذين يشدون أزرهم ويقضون إلى جوارهم فعصوا ذلك الأمر وحرضوا الأعراب على البقاء فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم ، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج علي وقال لهم أخرجوا عنكم الأعراب ، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم: فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب ، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبيﷺ فقال: دونكم ثأركم ، فقالوا: عشوا عن ذلك [٢] ، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى ، ثم أنشد يقول:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم ::: أمرهم أمراً يديخ الأعاديا [٣]

حتى هذه اللحظة فإن علياً وطلحة والزبير والصحابة جميعاً كانوا يبدون متفقين تماماً على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة ، دفعاً لضررهم على الدين كله ، وكانوا متعاونين في ذلك ، وكان الأمر يبدو منطقياً تماماً من علي ﷺ واتفق معه الصحابة في ذلك ، ولكن كيف يصنعون بهؤلاء الغوغاء الذين تحكموا في الأمور ، وحركوا معهم العبيد والأعراب ، وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا ، لم تكن هناك إذن قدرة على قتالهم [٤] .

وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة حول علي ، فقد قال طلحة لعلي: دعنى فلآت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل ، وقال الزبير: دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل [٥] ، ولكن علياً ﷺ نراه يتريث ويقول لهما: حتى أنظر في ذلك [٦] .

ولعل علياً ﷺ كان يخشى الفتنة وتحول الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباها ، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما [٧] وكان اقتراح الزبير وطلحة على علي دليلاً على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي رضي الله عنهم جميعاً ، من كون هؤلاء

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٠) .
(٢) عشوا: عشا: ساء بصره ، وهنا لم يروا .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦١) .
(٤) فتح الباري (١٢ / ٣٦٠) .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٣٦١) .
(٦) المصدر نفسه (٥ / ٣٦١) .
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٠٨) .

الغوغاء متغلغلين في داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون ، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حداً من أهم الحدود وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها ، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر علي في ذلك ، لكن علياً ﷺ كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته ، وإنها فتنة من النار كلما سعرت ازدادت واستنارت[١] .

ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان ولم يستطع علي أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغل في جيش علي ، عندئذ قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة فإما أن نكابر [٢] وإما أن تدعنا ، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكي [٣] ، فقد كان علي ﷺ يعرف أن خروجهم من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل ، فلم يمنعهما من ذلك ، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضاً ، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة [٤] .

وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء ، وامتناع علي عن الموافقة - بالباطل - وقالوا: أنه تخوف جانب الرجلين وخشى أن يعيداها عليه جذعة ويستنا به سنة أهل مصر بعثمان يكون له معهما يوم كيوم الدار [٥] ، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يتحمل [٦] وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة .

لقد ذهب الزبير وطلحة رضي الله عنهما إلى مكة والتقوا بكم غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان ﷺ وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله .

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٣٦٧) ، دور المرأة السياسي ص ٣٨٠ .
(٢) نكابر: أي نجاحد ونغالب الأمر .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٨) ، دور المرأة السياسي ص ٣٨٠ .
(٤) دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .
(٥) الخلفاء الراشدون ، ص ٣٧٢ .
(٦) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١١٨ .

٣ - معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

شاع بين الناس قديماً وحديثاً أن الخلاف بين على ومعاوية رضي الله عنهما كان سببه طمع معاوية في الخلافة ، وأن خروج هذا الأخير على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام ، فقد جاء في كتاب " الإمامة والسياسة " المنسوب لابن قتيبة الدينوري[١] رواية تذكر أن معاوية ادعى الخلافة ، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أعلم أن معاوية طليق الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حل خلعه ، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه [٢] .

وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإنما من كلام الروافض ، وسيأتي الحديث عن كتاب " الإمامة والسياسة " وبيان كذبه وزوره ودوره في تشويه حقائق التاريخ في موضعه بإذن الله ، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة [٣] .

والصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابة لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده ، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء ، فقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله الشام أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة [٤] .

ويقول القاضي ابن العربي: إن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي أهل العراق - يدعون إلى علىّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام ، وهؤلاء أى أهل الشام يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة [٥] .

ويقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلة: إن معاوية وإن قاتل علياً ، فإنه لا ينكر

---

(١) هذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضي محترق ، وسيأتي الحديث عنه في نهاية هذا الفصل .
(٢) الإمارة والسياسة (١ / ١١٣) .
(٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ١٤٥) .
(٤) البداية والنهاية (٨ / ١٢٩) ، فتح الباري (١٣ / ٩٢) .
(٥) العواصم من القواصم ص ١٦٢ .

إمامته ولا يدعيها لنفسه ، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أنه مصيب ، وكان مخطئاً [١] .

ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب ، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي . . فلم تهج الفتنة بسببها ، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمه فامتنع علي [٢] .

لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أن معاوية ﷺ اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان ، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي ﷺ إذا أقيم الحد على قتلة عثمان . ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان ، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان ، حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له ، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة ، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان ، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه ، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة ، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع [٣] .

إن معاوية ﷺ كان من كتاب الوحي ، ومن أفاضل الصحابة ، وأصدقهم لهجة ، وأكثرهم حلماً ، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل ملك زائل ، وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين ، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه [٤] ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: «**اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به**» [٥] ، وقال: «**اللهم علمه الكتاب وقه العذاب**» [٦] .

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان ﷺ فيظهر في رفضه أن يبايع لعلي ﷺ قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان ، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم ، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، بل يدخل في الطاعة ، ويرفع دعواه إلى الحاكم ، ويطلب الحق عنده [٧] .

---

(١) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ص ١١٥ .

(٢) الصواعق المحرقة (٢ / ٦٢٢) ، وهذا اجتهاد معاوية ﷺ ، وإن كان الصواب هو: أن يبايع معاوية ثم طالب بالقصاص .

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣ / ١٥١) .

(٥) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ٣٠١٨ ، (٣ / ٢٣٦) .

(٦) فضائل الصحابة (٢ / ٩١٣) **إسناده حسن .**

(٧) **تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥١) .**

وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه: لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان أو من نصبه السلطان لهذا الأمر ، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى [١] .

ويمكن القول: إن معاوية ﷺ كان مجتهداً متأولاً يغلب على ظنه أن الحق معه ، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكرهم أنه ولي عثمان - ابن عمه - وقد قتل مظلوماً ، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً ﴾ [الإسراء: ٣٣] .

ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان ، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبايعوه على ذلك ، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفنى الله أرواحهم [٢] ، وإذا قارنا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومعاوية ﷺ لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية ﷺ من أربعة أوجه:

كان أولها: مبايعتهما لعلي طائعين مع اعترافهما بفضله ، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفاً بفضله [٣] .

والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما ، ومعاوية لا شك دونهما فيها [٤] .

الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ، ولم يتعمدوا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل [٥] ، بينما أصر معاوية على حرب علي ومن معه في صفين [٦] .

والرابع: لم يتهما علياً بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان ، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك [٧] .

رابعاً : موقف معتزلي الفتنة :

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة ، على قول رسول الله ﷺ **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن**

---

(١) تفسير القرطبي (٢ / ٢٥٦) .
(٢) صفين لابن مزاحم ، ص ٣٢ ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٢) .
(٣) البداية والنهاية (٨ / ١٢٩) ، فتح الباري (١٣ / ٩٢) .
(٤) كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة .
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١١٣) ، تاريخ الطبري (٣ / ٤٧٥) .
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٦١٢ - ٦١٥) .
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٣٩) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٥٩) .

تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً، فليعذ به» [١].

قال ابن حجر – رحمه الله: ففي الحديث تحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها [٢] وقال رسول الله ﷺ: **«إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس فيها خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي»**، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: **«من كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه»**، قالوا: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: **«يعمد إلى سيفه فيضرب بحده على حرة، ثم ليتبع ما استطاع النجاء»** [٣].

وقال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم، يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»** [٤]، وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى النهي عن الدخول في قتال الفتنة.

قال الجويني: قد صار طوائف من جلة أصحاب رسول الله ﷺ إلى التخلف عن القتال في زمن علي ﷺ وإيثار السكون، والركون إلى السلام والتباعد عن ملتطم الغوائل، منهم سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[٥]، وكانا من العشرة المبشرين بالجنة، وممن تخلف أولاً: أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري، وتبع هؤلاء أمم من الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم [٦].

وقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا [٧].

وقال ابن تيمية – رحمه الله: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب، ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي ﷺ في ترك القتال

---

(١) البخاري، كتاب الفتن ٧٠٨١.
(٢) الفتح (١٣ / ٣١).
(٣) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٤) البخاري، كتاب الفتن رقم (٧٠٨٨).
(٥) مع العشرة المبشرين بالجنة توفي ٥١ هـ، تهذيب التهذيب (٤ / ٣٠).
(٦) غياث الأمم في تياث الظلم، ص ٨٥، ٨٦.
(٧) فتح الباري (١٣ / ٣٤).

في الفتنة ، وبينوا أن هذا قتال فتنة [١] ، وقد ذهب الإمام القرطبي إلى أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال مع الإمام عليّ هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين ، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة وغيرهم [٢] .

وإليك طرفاً من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة :

١ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

كان سعد رضي الله عنه أفضل الصحابة بعد علي رضي الله عنه يوم صفين ، ولما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى ، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك ، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان ، يعرف المؤمن من الكافر ، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[٣] .

وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله ، فجاءه ابنه عمر ، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك ، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»** [٤] .

٢ - محمد بن مسلمة رضي الله عنه :

عن الحسن أن علياً بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ وقال: دفع ابن عمك - يعني النبي ﷺ - سيفاً فقال: **«قاتل به ما قوتل العدو فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً، فاعمد به إلى صخرة، فاضربه بها، ثم الزم بيتك، حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة»** ، قال: «خلوا عنه» [٥] .

٣ - أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :

عن زيد بن وهب قال: . . . . . جاءنا قتل عثمان ، فجزع الناس من ذلك ، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه ، فقلت: قد منع الناس ما ترى ، وفينا رهط من أصحاب

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٥٥) .
(٢) تفسير القرطبي (١٦ / ٣١٩) .
(٣) مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
(٤) مسلم (٤ / ٢٢٤٤) .
(٥) مسند أحمد (٤ / ٢٢٥) فيه انقطاع ، وله طرق آخر ، رواه الطبراني في الكبير (١٢ / ١٧٧ ، ١٧٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٣٠١): ورجاله ثقات .

محمد ﷺ، فاذهب بنا إليهم، فدخلنا على أبي موسى، وهو أمير الكوفة فكان قوله نهياً عن الفتنة والأمر بالجلوس في البيوت [١].

وأخرج الطبري قصة قدوم ابن عباس والأشتر إلى الكوفة لاستنفار الناس أن أبا موسى قام - وكان يومها أميراً على الكوفة - فدعا الناس إلى لزوم البيوت، ووضع السيوف في أغمادها، وكان مما قاله يومئذ: . . . فإنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف وأنصلوا الأسنة واقطعوا الأوتار، وأووا المظلوم المضطهد، حتى يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة [٢].

وقال أيضاً: إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت تبينت، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور، فتسكن أحياناً، فلا يدرى من أين يؤتى، تذر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم [٣].

وكان أبو موسى يستدل لموقفه بما رواه عن رسول الله ﷺ من النهي عن الدخول في الفتنة والأمر بتكسير القسى، وتقطيع الأوتار، وضرب السيوف بالحجارة، والرضا بمنزلة ابن آدم المقتول [٤].

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة فإن دخل** - يعني على أحد منكم - **فليكن كخير ابني آدم**»[٥].

٤ - عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قالت عائشة رضي الله عنها: "ما أعلم رجلاً سلمه الله من أمور الناس، واستقام على

---

(١) تاريخ ابن عساكر ص (٤٨٧ - ٤٨٨).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٣) و جراثيم العرب: أصل العرب.
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٥)، باقرة: مفرقة، الصبا: الريح الشرقية.
(٤) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص ١٨١.
(٥) سنن الترمذي (٣ / ٣٣٢) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر "[١]، وعن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة، الله يقول: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد يقتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك [٢]. وعن نافع أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩].

فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلا أقاتل، أحب إليَّ من أعتبر بالآية التي يقول فيها: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣] ألا ترى أن الله يقول: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣] قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه، إما أن يقتلوه، وإما أن يسترقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة [٣].

وقد ورد أن أمير المؤمنين علياً حمد لابن عمر وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضياها، إذ قال: لله در مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، إن كان براً إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطأه ليسير [٤]، وفي رواية: لله در منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، والله إن كان ذنباً إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسناً إنه لعظيم مشكور[٥].

وقال الخطابي – رحمه الله: وكان ابن عمر من أشد الصحابة حذراً من الوقوع في الفتن، وأكثرهم تحذيراً للناس من الدخول فيها، وبقي إلى أيام فتنة ابن الزبير فلم يقاتل معه، ولم يدافع عنه، إلا إنه كان يشهد الصلاة معه فإذا فاتته صلاها مع الحجاج، وكان يقول: إذا دعونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم [٦].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٢٥٩).
(٢) البخاري، كتاب الفتن (٨ / ٩٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٢٨، ٢٢٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٤ / ٤٤٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ١١٩، ١٢٠)، مجمع الزوائد (٧ / ٢٤٦).
(٦) العزلة للخطابي ص ٢٠، ٢١.

قال ابن تيمية – رحمه الله: ومن حين مات عثمان تفرق الناس، وعبد الله بن عمر الرجل الصالح لحق بمكة، ولم يزل معتزل الفتنة، حتى اجتمع الناس على معاوية، مع محبته لعلي، ورؤيته له أنه هو المستحق للخلافة، وتعظيماً له، وموالاته له، وذمه لمن يطعن عليه ولكن كان لا يرى الدخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة علي إلا في القتال [١].

٥ - سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

لما قتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليال فنزل المدينة [٢].

٦ - عمران بن حصين رضي الله عنه:

قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي [٣]، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلى قومك فانههم عن الفتنة: قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع. فأبلغهم عني وانههم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبداً حبشياً أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهن حتى يدركني أجلي أحب إليَّ من أن أرمي أحد الصفين بسهم أخطأت أم أصبت [٤].

٧ - سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه:

قال الذهبي – رحمه الله: وقد اعتزل الفتنة فأحسن ولم يقاتل مع معاوية ولما صفا الأمر لمعاوية وفد سعيد إليه، فاحترمه وأجازه بمال جزيل [٥]. وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه [٦] ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم، اعتزلوا باعتزاله حتى مضت الجمل وصفين [٧].

٨ - أسامة بن زيد رضي الله عنه:

قال الذهبي: انتفع أسامة من قول النبي ﷺ إذ يقول له: «**كيف بلا إله الله يا أسامة؟**»

---

(١) منهاج السنة (٦ / ٢٨٥).
(٢) البخاري، كتاب الفتن (٦ / ٢٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٩).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٠ / ١٥)، الطبراني الكبير (١٨ / ١٠٥) رجاله رجال الصحيح.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٤٦).
(٦) البداية والنهاية (٨ / ٩١).
(٧) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٤٦).

فكف يده ، ولزم منزله ، فأحسن [١] ، ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية ، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو ، فحملت على رجل ، فلما دنوت منه كبر ، وطعنته فقتلته ، ورأيت إنما فعل ذلك ليحرز دمه ، وذكر الحديث ، وفيه: فقال - يعني النبي ﷺ «**يا أسامة من لك بلا إله إلا الله؟**» ، فقلنا: يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً من القتل ، قال: «**من لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟**» فما زال يرددها [٢] حتى قال أسامة: لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وإني أسلمت يومئذ ، ولم أقتله ثم قال: إني أعطي لله عهداً ، ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبداً . فقال النبي ﷺ «**بعدي يا أسامة؟**» ، قال: بعدك [٣] .

وعن حرملة أنه قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن ، فيقول ما خلف صاحبك؟ ، فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد ، لأحببت أن أكون معك فيه ، ولكن هذا أمر لم أره [٤] .

قال ابن حجر - رحمه الله: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضناً منه بنفسه عن علي ، ولا كراهة له ، وإنه لو كان في أشد الأماكن لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه ، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته قتال المسلمين [٥] ، وفي رواية أخرى عند الذهبي ، عن الزهري قال: لقي علي أسامة بن زيد ، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة ، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا حسن إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد ، لأخذت بمشفره الآخر معك ، حتى نهلك جميعاً أو نحيا جميعاً ، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه ، فوالله لا أدخل فيه أبداً [٦] .

٩ - عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما :

فقد ورد عنه أنه لما سئل عن خروجه مع معاوية وأبيه إلى صفين ، أنه لم يخرج لقتال وإنما خرج طاعة لأبيه ، فعن حنظلة بن خويلد العنبري ، قال: بينما أنا عند معاوية ، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار ، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٠ - ٥٠١) .
(٢) مسلم رقم (٩٦) ، الحاكم في المستدرك (٣ / ١١٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٥) ، إسناده رجاله ثقات .
(٤) البخاري ، كتاب الفتن (٨ / ٦١ - ٦٨) .
(٥) فتح الباري (١٣ / ٦٧) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٤) .

ليطب بـه أحـدكما نفساً لـصاحبـه ، فإنـي سمعـت رسـول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» فقـال معاوية: يا عمرو ، ألا تغني عنا مجنونك ، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «أطع أباك ما دام حياً» فأنا معكم ولست أقاتل [١] .

وورد مـا يـدل علـى ندمه على حضوره صفين فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة [٢] ، قال: قال عبد الله بن عمرو: ما لي ولصفين ، ما لي ولقتال المسلمين لوددت أني مت قبلها بعشر سنين أما والله على ذلك ما ضربت بسيفي ، ولا رميت بسهم [٣] .

١٠ - صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه :

قال الذهبي: وكـان ممـن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه [٤] ، وعن جعفر بن برقان ، أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس واختلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وكان ممـا قالـه: وأمـا من لزم ، فمنهم سعد بن أبي وقاص ، وأبو أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وحبيب بن سلمة الفهري ، وصهيب بن سنان ، ومحمد بن مسلمة في أكثـر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، قالوا جميعاً: نتولى عـثمان وعلـياً ، ولا نتبرأ منهما ، ونشهد عليهما وعلى تشيعهما بالإيمان ونرجو لهم ونخاف عليهم [٥] .

١١ - أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه :

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، وخليفة بن خياط في تاريخه وابن سعد في الطبقات عن شـعبه قـال: سـألت الحكـم: هـل حـضر أبو أيوب صفين؟ قال: لا ، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان [٦] .

١٢ - أبو هريرة رضي الله عنه :

فقـد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الدخول في الفتـنة فقـد قـال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم

---

(١) مسند أحمد (٢ / ١٦٤) إسناده صحيح ، تهذيب التهذيب (٣ / ٥٢) .
(٢) أبو بكر عبد الله التميمي روى عن العبادلة الأربعة ، تهذيب التهذيب (٥ / ٢٦٨) .
(٣) طبقات ابن سعد (٤ / ٢٦٦) رجاله ثقات .
(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨) .
(٥) دول الإسلام (١ / ٢٩) ، تاريخ دمشق ص ٥٠٣ ، ٥٠٥ .
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٣٠٣) ، تاريخ خليفة ص ١٩٦ ، الطبقات (٣ / ٢٤٩) .

فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به» [١].

١٣ - عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه :

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان، وقيل شهد صفين، والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوى إلى الرملة [٢].

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشاركوا فيها، بل إن بعضهم كان يحذر غيره من المشاركة، وهو اقتناع تكون لديهم، من خلال الأحاديث التي رووها، والتي فيها النهي عن الدخول في الفتن التي تقع بين المسلمين، وقد فرق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارج والقتال في الجمل وصفين، فقد شارك في قتال الخوارج عدد منهم كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري وهما ممن اعتزل الفتنة بين المسلمين في الجمل وصفين، وأيضاً فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية، بعد أن تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأمة.

وقال ابن حجر - رحمه الله: وبايع معاوية كل من كان معتزلاً للقتال كابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة [٣].

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصوص التي أوردناها، أن علة كف هؤلاء الصحابة عن الدخول مع أحد الطرفين، قد يكون لأن الأمور كانت مشتبهة عليهم - كما قال النووي: فلم يتبينوا المحق من المبطل وكما يظهر من كلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقد يكون لأنهم لم يروا أن القتال هو الحل الوحيد لهذه المشكلة، لأن الصلح خير، ومن الصلح أن يتم التنازل عن بعض الحق، جمعاً لكلمة المسلمين، ولعلنا نلمح من كلام أسامة رضي الله عنه شيئاً من هذا التوجيه، فقد اعتذر لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنه لا يرى القتال معه في هذا السبيل، رغم اعترافه بإمامته وفضله [٤].

وقد تحدث العلماء في أعذار المعتزلين:

أ - قال القرطبي: وقيل: إن من توقف من الصحابة قد حمل الأحاديث الواردة

---

(١) مسلم، كتاب الفتن (٤ / ٢٢١١ - ٢٢١٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٣).
(٣) أحداث وأحاديث الفتنة، ص ٢١٢ عبد العزيز دخان.
(٤) أحداث وأحاديث الفتنة، ص ٢١٢.

بالكف على عمومها، فاجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال [١].

ب – قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة لـه أكثر من أنه لم يتبين لـه الحق، ومن لم يتبين لـه الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين لـه وجه الحق حتى يراه [٢].

جـ – وقال ابن حجر: والحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد، فمن لابس القتال اتضح لـه الدليل، لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت لـه القدرة على ذلك، ومن قعد لم يتضح لـه أي الفئتين هي الباغية، أو لم تكن لـه القدرة على القتال، وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي، وكان مع ذلك لا يقاتل، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**» أخرجه أحمد وغيره [٣].

د – وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبيﷺ منهم سعد، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وابن عمر قيل لـه لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية، وجائز أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكتفياً بمن معه، مستغنياً عنهم بأصحابه، فاستجازوا القعود عنه لذلك، ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج، لا على أنهم لم يروا قتالهم واجباً لكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة القتال [٤].

خامساً: موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي ومن معه:

كان أمير المؤمنين علي ﷺ ينتظر حتى يستتب لـه الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور فتؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية لجلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي ﷺ إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم – قتلة عثمان – وهو خير من شر منه: القتال والفرقة [٥].

---

(١) التذكرة (٢ / ٢٢٣).
(٢) الفصل (٣ / ٧٨).
(٣) فتح الباري (١٣ / ٤٦).
(٤) أحكام القرآن (٥ / ٢٨١).
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٠).

لقدر رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه فأخر القصاص من أجل هذا ، وهذا فيه اقتداء بالنبي ﷺ في حادثة الإفك ، وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فصعد النبي ﷺ وقال: «**من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي؟**»: يعني عبد الله بن أبي ابن سلول فقام أسيد بن حضير وقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان منا معشر الأوس قتلناه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله ، فقام سعد بن عبادة فرد عليه سعد بن معاذ ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد بن عبادة ، فصار النبي ﷺ يخفضهم [١] وقد علم أن الأمر عظيم ، ذلك أنه قبل مجيء النبي ﷺ إلى المدينة ، كان الأوس والخزرج اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أبي ابن سلول ملكاً عليهم فهو له عندهم منزلة عظيمة ، وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أحد ، والنبي ﷺ هنا ترك إقامة الحد على عبد الله بن أبي ابن سلول لماذا؟ ، للمصلحة والمفسدة ، إذا رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه ، وكذلك أمير المؤمنين علي ﷺ رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله ؛ لأن علياً ﷺ لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً ، لأن لهم قبائل تدافع عنهم ، والأمن غير مستتب وما زالت فتنة ، ومن يقول إنهم لن يقتلوا علياً ﷺ؟ وقد قتلوه بعد ذلك [٢] .

كان أمير المؤمنين علي ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم ، فيحضر الطالب للدم والمطلوب ، وتقع الدعوى ويكون الجواب ، وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم [٣] ، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة [٤] ، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي ﷺ وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه ، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته ، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله ، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله [٥] .

وعلى كل حال ، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم ، والمتبرئ من فعلهم ، وكان

---

(١) البخاري ، كتاب المغازي رقم (٤١٤١) .
(٢) حقبة من التاريخ ص ١٠٢ .
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٦) .
(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ١٧١٨) .
(٥) شرح الطحاوية ، ص ٥٤٦ .

راغباً في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً.

وتجلى هذا في أمرين:

١ - موقفه من قتلة عثمان:

لقد أنكر علي ﷺ قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع [١]، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان ﷺ [٢]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله ﷺ، فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي ﷺ، فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه [٣].

وقال ابن تيمية - رحمه الله: وهذا كله كذب على علي ﷺ وافتراء عليه فعلي ﷺ لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روى عنه ذلك وهو الصادق البار [٤]، وقد قال علي ﷺ: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان [٥]، وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن سعد بن عبادة قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصروا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى [٦].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد [٧] قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثاً [٨].

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٠٢).
(٢) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص ٢٢٩.
(٣) المستدرك (٣ / ١٠٣).
(٤) منهاج السنة (٤ / ٤٠٦).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢) إسناده حسن.
(٦) المستدرك (٣ / ٩٥) حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٧) موضع قرب البصرة بينهما ثلاثة أميال.
(٨) فضائل الصحابة (١ / ٥٥٥) رقم (٧٣٣) إسناده صحيح.

وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن علياً قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ، ولكني نهيت ، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت ، قالها ثلاثاً [١] ، وجاء عنه أيضاً أنه قال ﷺ: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت [٢] ، وكان يثني على عثمان ﷺ وقال فيه: كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب[٣] .

وعن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفرات ، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَهُ الجَوَارِ المُنشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴾ [الرحمن: ٢٤] ، والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله [٤] .

وقال علي ﷺ: إنما وهنت يوم قتل عثمان [٥] ، وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي ﷺ أنه تبرأ من دم عثمان وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها ، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك ، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[٦] .

٢ - محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه :

كان ﷺ يعاملهم بحذر شعوراً منه بخطرهم ، حتى إنه لم يول أحدا منهم عند إرادة خروجه للشام حيث دعاه ولده محمد ابن الحنفية وسلمه اللواء وجعل عبد الله بن عباس ﷺ على الميسرة ، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر بن الجراح [٧] ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ﷺ [٨] .

وهذه بادرة منه ﷺ ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين ، ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم ، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم والتودد إليهم وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك ، وهو

---

(١) الطبقات ، (٣ / ٨٢) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٠٢) .
(٢) الرياض النضرة ، ص ٥٤٣ .
(٣) صفة الصفوة (١ / ٣٠٦) .
(٤) فضائل الصحابة (١ / ٥٥٩ ، ٦٦٠) إسناده صحيح لغيره ، رقم ٣٧٩ .
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥ / ٦١) .
(٦) البداية والنهاية (٧ / ١٩٣) .
(٧) تاريخ الطبري ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٨) .
(٨) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٠) .

كاف في عذره، لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشدة أن يمتد حبل الفتنة في الأمة [١]، وحين تم الصلح بين أمير المؤمنين علي وطلحة والزبير وعائشة على يدي القعقاع بن عمرو - سيأتي تفصيل ذلك - خطب أمير المؤمنين علي ﷺ عشية ذلك اليوم، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدث هذا الحادث الذي جره على الأمة أقوام - قتلة عثمان - طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه، وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره [٢].

ثم قال: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم [٣]. ويناقش الإمام الباقلاني موضوع توقيع عقوبة القصاص على قتلة عثمان، مبدياً رأيه لموقف علي ﷺ في تأخير إجراء القصاص إلى حين إمكانه، فيقول: وعلى أنه إذا ثبت أن علياً ممن يرى قتل الجماعة بالواحد، فلم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البينة على القتلة بأعيانهم، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم.

وبأن يؤدى بالإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه، وإن تأخير إقامة الحد إلى وقت إمكانه وتقصي الحق فيه أولى وأصلح للأمة وألم لشعثهم وأنفى للفساد والتهم عنهم [٤].

ويبرر ابن حزم موقف علي ﷺ في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق: أما قولهم: إن أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ، الساعين في الأرض بالفساد والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم، وما خالفهم علي قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جماً لا طاعة له عليهم، فقد سقط عن علي ﷺ ما لا يستطيع فعله كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق.

---

(١) إفادة الأخبار للتباني (٢ / ٥٢) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٩).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥).
(٤) التمهيد للباقلاني، ص ٢٣١، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٩).

قال الله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال رسول الله ﷺ: **«إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»** (١)، ولو أن معاوية بايع علياً لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الاختلاف هو أضعف يد علي ﷺ عن إنفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد الله بن خباب (٢)، إذ قدر على مطالبة قتلته (٣).

ويـنقل ابن العربي وجهة نظر علي ﷺ بقولـه: وعلي ﷺ يقول: لا أمكن طالباً من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم (٤) ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً، وأما كونه لهذا السبب، أي سبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان، فمعلوم كذلك قطعاً، وأما الصواب فيه فمع علي، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإذا ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه، وأي كلام كان يكون لعلي - لما تمت له البيعة - لو حضر عنده ولي عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول إلا أثبت وخذ، وفي يوم يثبت إلا أن يثبتوا هم - أي قتلته - أن عثمان كان مستحقاً للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً، وكان يكون الوقت أمكن للطالب وأرفق في الحال، وأيسر وصولاً إلى المطلوب (٥).

إن علياً ﷺ كان إماماً، وإن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى ينقاد إلى الحق، ولا شك أن رده على أهل الشام بدخولهم في البيعة ثم يطلبون الحق - أي القصاص من قتلة عثمان - كان في ذلك أسد رأياً وأصوب قيلاً، لأنه لو اقتص من قتلة عثمان، والأمر لم يستتب له بعد لتعصب لهؤلاء قبائلهم، فتصير حرباً ثالثة، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر ليقع الطلب من هؤلاء الجناة، ويجري القضاء فيهم بالحق (٦).

أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والذين منهم: مالك والشافعي وأبو

---

(١) البخاري، كتاب الاعتصام (٨ / ١٤٢).
(٢) قتلة الخوارج وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.
(٣) الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٦٢).
(٤) العواصم من القواصم، ص ١٦٣.
(٥) تحقيق مواقف الصحابة ٢٠ / ١٦١).
(٦) أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٦١).

حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين - كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل - وقالوا أيضاً: إن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم [١].

ويلخص ابن تيمية رأي علي ﷺ في قوله: فهو يرى أنه يحجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته.. وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة [٢] إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان المندسون في جيشه وهم كثرة، ولا سيما أهل الكوفة والبصرة منهم، فصاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان علي يرى أن إقامة الحد عليهم سيفتح عليه باباً ربما لا يستطيع سده بعد ذلك، وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير فأذعنوا له وعذروا علياً، ووقفوا على موقفه ذاك، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنى المفسدتين، وارتكاب أخف الضررين.

إن السياسة الحكيمة تقتضي ما كان ينادي به أمير المؤمنين علي ﷺ من التريث والأناة وعدم الاستعجال، إذ إن الأمر يحتاج إلى وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد ومواجهة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة، بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضى على كل الآمال في أخذ القصاص من قتلة عثمان [٣]، وهناك أدلة قوية تبين أن علياً كان محقاً أكثر من طلحة والزبير ومعاوية ﷺ.

١ - ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**ويح عماراً تقتله الفئة الباغية**» [٤]. يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه [٥]، ويقول النووي: إن الروايات - أي عن النبي ﷺ - صريحة في أن علياً ﷺ كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح

---

(١) أعلام النصر المبين، لابن دحية، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٦٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٧٢ / ٣٥٠).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٦٣).
(٤) البخاري، كتاب الجهاد (٣ / ٢٠٧).
(٥) الفتح (١ / ٥٤٢).

بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون [١] .

٢ - وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ذكر النبي ﷺ قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق - الخوارج - قال: «**هم شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق**» [٢] .

وفي رواية: «**يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**» [٣] .

ففي الحديث دلالة واضحة على أن علياً ﷺ كان أدنى إلى الحق من مخالفيه في الجمل وصفين .

سادساً : خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح :

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة - رضي الله عنهم جميعاً - وكان وصولها إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريباً ، أي في ربيع الآخر من عام ٣٦هـ [٤] ، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة رضي الله عنها ، للخروج وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئاً لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم ، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنهم لا تكفير لذنبهم هذا - حسب قولهم - إلا الخروج للمطالبة بدمه ، علماً بأن عثمان هو الذي نهى كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله ، فعائشة تقول: إن عثمان قتل مظلوماً والله لأطالبن بدمه [٥] ، وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه [٦] ، والزبير يقول: ننهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل ، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً ، إذا لم يفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب [٧] .

فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم ، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٧ / ١٦٨) .
(٢) مسلم رقم (١٠٦٥)
(٣) مسلم (٢١ / ٧٤٦) .
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٩) .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٥) .
(٦) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٤) .
(٧) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧) .

أهوال قادمة مجهولة ، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى ، فشيعه أولاده بالبكاء وسمي يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب ، فلم ير يوم كان أكثر باكياً على الإسلام ، أو باكياً له من ذلك اليوم [١] .

لقد توافرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم ، ومن هذه العوامل: أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة ، ومنها: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية ، ومنها: أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة ، وقد قتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل قتلة عثمان ، فكان هذا كفيلاً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان ، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدءون؟

دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم - على رأسهم السيدة عائشة -: إن المدينة هي وجهتهم ، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معاً ضد قتلة عثمان ، وبعد نظر طويل استقر رأيهم على البصرة ، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم ، ولأن الشام صار مضموناً لوجود معاوية ، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة لأنها أقل البلدان قوة وسلطة ، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم [٢] ، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم ، أو أثناء طريقهم ، أو عند وصولهم إلى البصرة وهي: المطالبة بدم عثمان ، والإصلاح ، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٣] ، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله [٤] وأنه إذا لم يؤخذ على يد قتلة عثمان ﷺ فسيكون كل إمام معرضاً للقتل من أمثال هؤلاء [٥] ، وأما الطريقة التي تصورها فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة ، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يضيقوا الخناق على قتلي عثمان الموجودين في جيش علي فيأخذونهم بأقل قدر

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧) ، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع: ص (٤١٧) .
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٦) ، دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٨) .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٩) .
(٤) دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٩) .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧) .

ممكن من الضحايا [١] .

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثأر لعثمان ﷺ ، وكأنه رجل من عوام الناس قتل ، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره ، رغم كونه حداً من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك ، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة ، وقتله بالصورة التي تمت ، كان فوق ذلك ، ومعه اغتيال لصفة شرعية هي "الخلافة" التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين ، وسياسة الدنيا به [٢] ، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه ، وضياع لنظام المسلمين [٣] .

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان ، وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها ، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل ، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد ، فلقد بات واضحاً عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة - رضي الله عنها - أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش علي ، وأنه لأجل ذلك فإن علياً ﷺ يصعب عليه مواجهتهم ، خشية منه على أهل المدينة ، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين ، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود ، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء ، وهو هدف لا نشك أن علياً كان يسعى إليه ، ويحاوله .

بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعلي تدل على ذلك ، ثم إن هذا السلوك منهم ، وهذه النية في تعريف الناس ، وتوضيح الأمور لهم ، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة ، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال فكان لابد من مواجتها في ميدان الأفكار ، لإبطال عملها ، ولقد تبين هذا العمل واضحاً ، وصريحاً في الروايات الصحيحة [٤] ، التي تحدثت فيها السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن أهداف هذا الخروج .

---

(١) دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٩) .
(٢) مقدمة ابن خلدون: ص (١٩١) .
(٣) دور المرأة السياسي: ص (٣٩١)
(٤) دور المرأة السياسي: ص (٣٩٤) .

فروى الطبري أن عثمان بن حنيف - وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرسل إلى عائشة - رضي الله عنها - عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤]، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره [١].

وروى ابن حبان أن عائشة - رضي الله عنها - كتبت إلى أبي موسى الأشعري - والي عليّ على الكوفة -: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[٢]. ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس [٣].

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء عليّ إلى عائشة - رضي الله عنها - فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح [٤]. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على من طعن في عائشة - رضي الله عنها - من الشيعة الروافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٠).
(٢) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٢).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٠).
(٤) شذرات الذهب (١ / ٤٢).

تَبَـرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعاً، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين - عائشة - في خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير [١].

قال ابن تيمية في الرد على الرافضة في هذه المسألة: فهي - رضي الله عنها - لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة - رضي الله عنها - وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه، في خلافة عمر ﷺ وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك [٢].

ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا لها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد[٣].

وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها:

١ - هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج؟

زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج [٤]، وقال بهذا القول صاحب الإمامة والسياسة [٥]، وابن أبي الحديد [١]، وكذلك فعل الدينوري [٢]،

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٤).
(٢) منهاج السنة (٤ / ٣١٧ - ٥٧٠).
(٣) أحكام القرآن (٣ / ٥٦٩ ، ٥٧٠).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٨٠ ، ٢٠٩).
(٥) الإمامة والسياسة (١ / ٥٨ ، ٦٩).

وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير [٣] - ابن أختها أسماء - وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل [٤]، فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة [٥] وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله ﷺ وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة، ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعزّوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها [٦]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعد ما مر على مقتل عثمان أربعة أشهر [٧].

٢ - هل كانت متسلطة على من معها؟:

كان فيمن خرج معها - رضي الله عنها - جمع من الصحابة [٨]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت - كما زعم بروكلمان [٩]، وقد أكدت روايات الطبري تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها [١٠]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم [١١]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون [١٢]، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه

---

(١) شرح نهج البلاغة (٩ / ١٨).
(٢) الأخبار الطوال: ص (١٤٥)
(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٩٣).
(٤) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٦).
(٥) عائشة أم المؤمنين: ص (١٨٤).
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٥).
(٧) دور المرأة السياسي: (٣٨٣)، تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٩).
(٨) المصدر نفسه: ص (٣٨٤).
(٩) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص (١١١، ١١٤، ١١٧).
(١٠) تاريخ الطبري (٥ / ٤٧٥).
(١١) تاريخ الطبري نقلاً عن دور المرأة السياسي: ص (٣٨٥).
(١٢) تاريخ الطبري نقلاً عن دور المرأة السياسي: ص (٣٨٥).

البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعاً من السفهاء والغوغاء والأوباش [١] ، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة ، يترحم عليهم ويذكر فضلهم [٢] . وسيأتي بيان ذلك أنه لم يكن خروجاً غوغائياً ، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين ، بل كان خروجاً واعياً شارك فيه بعض الصحابة الكبار [٣] .

٣ - موقف أزواج النبي ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان :

كانت أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة ، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قتل أقمن بمكة ، وكن قد خرجن منها فرجعن إليها ، وجعلن ينتظرن ما يصنع الناس ويتحسسن الأخبار ، فلما بويع علي خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار ، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين [٤] ، وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة ، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة [٥] .

كان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين ، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة ، وإنما عزم [٦] عليها أخوها عبد الله كي لا تخرج ، فلم يكن عدم خروجها ناتجاً عن اقتناع منها [٧] ، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج ، وأرسلت إلى عائشة بعذرها [٨] .

وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمة - رضي الله عنها - لم تكن ترى رأي عائشة ومن معها في الخروج إلى البصرة ، وأنها كانت ترى ما يراه علي [٩] ، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علي ابنها عمر بن أبي سلمة قائلة: والله لهو أعز علي من

---

(١) انظر ما قاله صاحب الإمامة والسياسة (١ / ٥٧) .
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٧٤) .
(٣) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٥) .
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٢٤١) .
(٥) البداية والنهاية (٧ / ٢٤١) .
(٦) عزم عليها: أقسم عليها
(٧) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٦) .
(٨) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٧) .
(٩) أنساب الأشراف (٤ / ٢٢٤) .

نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه [١] وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون علياً ﷺ أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح [٢]، وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهاً إلى جميع المتكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به، لا على الجميع عموماً.

ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوافرة تماماً في السيدة عائشة: مكانة وسناً وعلماً وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهاً بإجماع جمهور المسلمين [٣]، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله ﷺ الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا... ولا بقضاء، ولا بطب منها [٤]. وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة [٥]. وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم... فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا [٦].

---

(١) أسد الغابة (٤ / ١٦٩)، الإصابة (٤ / ٤٨٧)، دور المرأة السياسي ص (٣٨٧)، المستدرك مرويات أبي مخنف: ص (٢٥٧).

(٢) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨٣).

(٥) المصدر نفسه (٢ / ١٨٣).

(٦) المصدر نفسه (٢ / ١٨٣).

هذا وقد خرج أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة ، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة والتشجيع لها على أمرها [١] .

٤ - مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب :

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة ، فعن يحيى بن سعيد بن القطان ، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن حازم أن رسول الله ﷺ قال لأزواجه: «**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**» [٢] . ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب ، فقالت: ما أظنني إلا راجعة ، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب**» . فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس [٣] . وبهذا اللفظ أخرجه يعلي بن عبيد عن إسماعيل ، وهو عند الحاكم [٤] ، وقال الألباني: إسناده صحيح جداً وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبان ، والذهبي ، وابن كثير ، وابن حجر [٥] .

فهذه الروايات الصحيحة ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة [٦] التي سيأتي بيانها . إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء ، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة ، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحوأب؟ والروايات الدالة على النهي ، والتي بها لفظ إياك في الأثر الوارد: «**إياك أن تكوني يا حميراء**» [٧] لم يصححها العلماء ، وإنما ضعفت ، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة ، ولم يكن له الأثر البعيد على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جدياً في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين ، وسعي لتسديد خطاهم ، ولم يعد الأمر أن يكون ظناً منها في احتمال الرجوع ، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة وهو

---

(١) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٩) .
(٢) مسند أحمد (٦ / ٩٧) .
(٣) مسند أحمد (٦ / ٩٧) .
(٤) المستدرك (٣ / ١٢٠) .
(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٧٦٧) رقم ٤٧٤ .
(٦) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٦) .
(٧) قال الذهبي: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح ، سير أعلام النبلاء (٢ / ١٦٧ ، ١٦٨) .

ظن لم يتلبث إلا يسيراً ثم عاد هدفها واضحاً بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين [١].

لقد كانت وما زالت مسألة ماء الحوأب [٢] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصباً للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها - في زعمهم - لنهي رسول الله ﷺ لها عن أن ترد ماء الحوأب.

وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع [٣]. ويروي الفزازي هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنسائي [٤]، وهو يروى هذا الخبر عن الخطاب الهجري وهو مجهول [٥]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسي [٦]، ثم أخيراً عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلي بن أمية [٧].

وفي متن هذه الرواية ما يجده القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية حيث تزعم على لسان علي أنه كان ﷺ يرى أحقيته بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تماماً [٨].

وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة [٩]، وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع كلها باطلة سنداً ومتناً، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا

---

(١) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٥).
(٢) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (١ / ٥٢٨)، ميزان الاعتدال (١ / ٤١٣).
(٤) تقريب التهذيب (١ / ٦٩٧).
(٥) تقريب التهذيب (٢ / ٣٩٢)، دور المرأة السياسي: ص (٤٠٠).
(٦) ميزان الاعتدال (٣ / ٤٣٤) و لسان الميزان (٣ / ٢٢٥).
(٧) أسد الغابة (٥ / ٤٨٦)، دور المرأة السياسي: ص (٤٠٠).
(٨) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٢).
(٩) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٣).

يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين ، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير - رضي الله عنهما - [١] كما يريد مفترى هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرؤون على انتهاك حرمات الله ، فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب ، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفساً - وفي رواية بخمسين نفساً - يشهدون على صدق قولهم ، فكان هذا العمل - كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي - أول شهادة زور في الإسلام [٢] . وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين ﷺ ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد ، وتحاول أن تظهر أن عائشة - رضي الله عنها - بجانب طلحة ﷺ وفي قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة ، وذلك لأنه تيمي مثلها ، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافساً داخلياً بين طلحة والزبير ، وحرصاً من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة ، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي ، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون ، أو فيها كلا العيبين الفادحين [٣] .

ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسهموا في نشرها ، وهي لا أساس لها ، كالعقاد في عبقرية علي ، وطه حسين في علي وبنوه [٤] ، وغيرهما من الكتاب المعاصرين .

٥ - أعمالهم في البصرة :

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة ﷺ ومن معهم إلى البصرة نزلوا بجانب الخريبة [٥] ، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان ، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان ﷺ إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده ، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية ، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة ، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقاً ، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٣) ضعيفة السند منقطعة ، وأنساب الأشراف من (٢ / ٤٧) نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت .

(٢) مروج الذهب (٢ / ٣٦٧) .

(٣) تاريخ الطبري وفي إسنادها مجهولان ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٣٣) .

(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٣٢) .

(٥) موقع جانب البصرة ، انظر: خطط البصرة ومنطقها ١١٤ - ١٢٢ العلمي .

ينكره صحابي واحد، جعل كثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفاً هول الموقف: . . فأتاني أفظع أمر أتاني قط فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد [١] إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين [٢]. ويذكر الزهيري أن عامة أهل البصرة تبعوهم [٣] وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا [٤]. وحتى معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها [٥].

وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جلبة في القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك [٦].

٦ - مقتل حكيم بن جلبة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حكيم بن جلبة بعدما خطبت عائشة - رضي الله عنها - في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير ﷺ رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم، وطلحة والزبير كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر [٧] خيله ويركبهم بها [٨].

وعلى الرغم من ذلك فإن عائشة - رضي الله عنها - ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيداً عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم [٩]، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جلبة وهو يربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٥ / ٤٥٦) له شواهد تقويه.
(٣) مصنف عبد الرزاق (٥ / ٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهيري مرسلاً.
(٤) الطبقات (٦ / ٣٣٣).
(٥) فتح الباري (١٣ / ٢٦)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٧).
(٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٧).
(٧) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.
(٨) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩).
(٩) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩).

إلى حيث عائشة رضي الله عنها ومن معها ، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله [١] ، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتمر [٢] منهم ، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم ، والله لا ندعك حتى يقيدك الله [٣] ، فرجعوا وتركوه ، ومضى حكيم بن جلبة فيمن غزا معه عثمان بن عفان ﷺ وحصره من نزاع القبائل كلها فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، ووافقوا أصحاب عائشة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً [٤] ، وظل منادي عائشة - رضي الله عنها - يناديهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون [٥] ، وجعلت - رضي الله عنها - تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم .

لكن حكيماً لم يرع [٦] للمنادي ، وظل يسعر القتال ، عندئذ وبعد ما تبينت للزبير وطلحة - رضي الله عنهما - طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة ، وأن لهم هدفاً في إنشاب القتال ، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة ، اللهم لا تبق منهم أحداً ، وأقد منهم اليوم ، فاقتلهم فجادوهم القتال ، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان ﷺ فليكفف عنا ، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ، ولا نبدأ أحداً ، فاقتتلوا أشد القتال [٧] ، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحداً وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم [٨] .

وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادوها في بيتها في الغلس ليقتلوها ، وكانوا قد ذهبوا حتى سدة بيتها ، ومعهم الدليل ، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها - رضي الله عنها - فدارت عليه الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم [٩] ، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤونة غذائية ، وقد مرت عليهم أسابيع ، وهم ليسوا في ضيافة أحد ، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم ، وأخلى

---

(١) المصدر نفسه (٥ / ٤٩٩) .
(٢) اغتمر: اغتمس
(٣) يقيدك الله: القود: القصاص ، وقتل القاتل بالقتيل .
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩) .
(٥) المصدر نفسه (٥ / ٤٩٩) .
(٦) لم يرع: لم يبال
(٧) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٩) .
(٨) المصدر نفسه (٥ / ٥٠١) .
(٩) المصدر نفسه (٥ / ٥٠٣) .

سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى علي [١] .

وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين ﷺ على البصرة وقتلوا عدداً كبيراً ممن شارك في الهجوم على المدينة ، قدر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جلبة ، والذي كان حريصاً على القتال وإشعال الحرب ، وكان الزبير أمير المؤمنين ، فقد بويع على ذلك [٢] .

٧ - رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى :

كانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة ، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة ، وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه ، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك . فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم ، وخالفنا شرارهم ونزاعهم ، فردونا بالسلاح ، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه ، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة ، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين ، فلم يفلت منهم حرقوص ابن زهير والله مقيده . وإنا نناشدكم الله - سبحانه - في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به ، فنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا [٣] .

٨ - الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة :

روى الطبري عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد ، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره ، قالت: اقتلوه ، فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ قالت: ردوا أباناً فردوه ، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه . قال: لو علمت أنك تدعيني لهذا لم أرجع . فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته ، فضربوه أربعين سوطاً ، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه [٤] ، وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي رافضي محترق ، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه ، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة .

والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك ،

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٣) ، خلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٣٨) .
(٢) أنساب الأشراف (٢ / ٩٣) بسند حسن ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٣٩) .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٠١) .
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٧) .

وأن طلحة والزبير رضي الله عنهما استشنعاه ، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء [١] ، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه ، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير [٢] ، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف [٣] ، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر [٤] .

سابعاً : خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة :

لم يكن الصحابة ﷺ في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة ، فقد تبين ذلك حينما هم علي بالنهوض إلى الشام ، ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع [٥] ، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق [٦] ، فلما علم أبو أيوب الأنصاري ﷺ بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين ، أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة ، ومهاجرة رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام ، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان وإن تشغب عليك قوم رميتهم بأعدائهم ، وإن ألجئت حيئذ إلى السير سرت وقد أعذرت . . . ، فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار [٧] .

ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة ، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً . . من أهل الشام [٨] ، وأثناء استعداده للخروج ، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة [٩] ، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته ، وحدث تثاقل مع بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش عليّ وطريقة التعامل معهم فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة ، فلابد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر ، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع ، فإن هذا الأمر لمشتبه

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٧) .
(٢) نهاية الأرب (٢٠ / ٣٨) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٣٣) .
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٣٥٩) .
(٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٢٥٩) .
(٥) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٣) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦١) .
(٦) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٣) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦١) .
(٧) الثقات لابن حبان (٢ / ٢٨٣) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦١) .
(٨) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (١٨٣) .
(٩) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨١) .

علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر . .

وروى الطبري أن علياً ﷺ خرج في تعبئته التي كان تعبى بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل [١] ، والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة أمير المؤمنين للخروج كثيرة ، منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل [٢] ، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك ، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم [٣] .

وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري - وهو بدري - عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علي أن لا أضحك حتى ألقاك [٤] . فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها [٥] ، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ [٦] .

وما سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة ، بل شارك البعض ، لكنهم كانوا قليلاً ، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير ، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب [٧] ، وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدراً أكثر من أربع نفر فكذبه ، كان علي وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية [٨] ، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع [٩] .

وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر ، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل . قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف ، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً ، فسميت حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة [١٠] ، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨١) .
(٢) الطبقات (٣ / ٢٣٧) ، والأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٣) .
(٣) البداية والنهاية نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي: (١٦٤) .
(٤) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين
(٥) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٤) .
(٦) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٤) .
(٧) تاريخ خياط: ص (١٦) ، مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٧١٠) .
(٨) العثمانية للجاحظ: ص (١٧٥) ، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٥) .
(٩) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير ، كتعاون: ص (٣٥٦) .
(١٠) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير ، كتعاون: ص (٣٥٦) .

علي إلى البصرة كان قليلاً ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[١].

إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[٢]. والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجاماً مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث[٣].

١ - نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين علي عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبداً، كان علي يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع علي من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمراً هيناً لا يرون به بأساً، وفي قولهم وتهجمهم هذا دليل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن علياً رضي الله عنه نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[٤].

٢ - نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة[٥] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[٦]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن - رضي الله عنهما - وهو باك لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن[٧] خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٥).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨١).
(٣) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف: ص (٣٨٨).
(٤) مسند أبي يعلي (١ / ٣٨١) قال محققه: إسناده صحيح.
(٥) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٠٤ كيلو مترات.
(٦) أنساب الأشراف (٢ / ٤٥)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٣).
(٧) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٢) خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط عثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب [١]، ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا لأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بني [٢].

كان موقف أمير المؤمنين علي حازماً في هذه المشكلة واضحاً ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه، وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[٣]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم [٤].

٣ - استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار [٥]:

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار فعسر به بعد ثماني ليال من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريباً [٦]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[٧]. وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق، . . . . والقول الذي هو

---

(١) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع.
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٤٨٢).
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٤)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ١٢) إسناده حسن.
(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٤) و سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٨٦).
(٥) ذو قار، ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، معجم البلدان (٤ / ٣٩٣).
(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٩ - ٥٢١).
(٧) فتح الباري (١٣ / ٥٣)، التاريخ الصغير (١ / ٩٣-٩٤).

القـول إنـه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم ، وتعز المظلوم ، وهذا عليّ يلي ما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع [١] .

وكـان للحسن بن علي أثر واضح ، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس ، أجيبوا دعـوة أميركـم ، وسـيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يليه أولـو النهـى [٢] أمثل في العاجلة وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليـتم [٣] . ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سـبعة آلاف رجل ، ثم انضـم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً [٤] .

وعـندما التقـى أهـل الكـوفة بـأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة ، أنتم وليـتم شـوكة العجـم وملـوكهم وفضـضتم جمـوعهم ، حتى صارت إليكم مواريثهم ، فأعنتم حـوزتكم ، واغتنم الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فـإن يـرجعوا فـذاك ما نريد ، وإن يلجوا داويناهم بالرفق ، وباياناهم حتى يبدءونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله [٥] .

٤ - اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية :

وهـذا القـول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة ، فمع اختلافهم في الرأي ، لم يدخل قلـب أحـد الضغن على أخيه ، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة ، فقد روى البخاري عن أبـي وائـل قال: دخل أبو موسى الأشعري ، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصاري على عمار حـين بعـثه علـي إلى أهل الكوفة يستنفرهم ، فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هـذا الأمـر مـنذ أسـلمت . فقـال عمـار: مـا رأيـت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكمـا في هـذا الأمـر . . وفي رواية: فقال أبو مسعود - وكان موسراً -: يا غلام هات حلتين فأعط إحداهما أبا موسى ، والأخرى عماراً ، وقال: روحا فيه إلى الجمعة [٦] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٦) .
(٢) أولو النهى: أصحاب العقول .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٦) .
(٤) مـصنف عـبد الـرزاق (٥/ ٤٥٦ ، ٤٥٧) بـسند صـحيح إلى الزهـري مرسلاً ، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٦) ، والإسناد حسن لغيره ، قاله عبد الحميد علي .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٩) .
(٦) البخاري ، ك الفتن .

فأنت ترى أبا مسعود وعماراً وكلاهما يرى الآخر مخطئاً ومع ذلك فأبو مسعود يكسو عماراً حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيباً، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيباً، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيباً، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها، فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكاً بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمار على رأي علي في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ﴾ [الحجرات: ٩] وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان معتدياً على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصاً على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال [١].

٥ - تساؤلات على الطريق:

أ - ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري: لما أراد الخروج من الربذة فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذا. فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت ::: وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي إن هبت الموت [٢]

ب - أهل الكوفة يسألون علياً بمن فيهم الأعور بن بنان المنقري: لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين ﷺ في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان المنقري، فقال له علي ﷺ: على الإصلاح وإطفاء النائرة [٣]، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا،

---

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢ / ٣٠٤).

(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٠).

(٣) النائرة: العداوة.

قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم [١] .

جـ - أبو سلامة الدألاني، ممن سأل أمير المؤمنين ﷺ فقال: أترى لهؤلاء القوم من حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إني لأرجو ألا يقتل أحد نقي قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة [٢] .

د - وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح، الكف عن هذا الأمر فإن بايعونا فذلك، فإن أبو وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه [٣] .

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتال ليس وارداً في تدابيره، لأنه إن حصل، فهو داء لا يرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان ﷺ يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم [٤] .

ثامناً: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علي رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أياماً، وكان غرضه ﷺ القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتى من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر منهم:

١ - عمران بن حصين ﷺ:

فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعاً ثم أرسل إليه بني عدي - وهم جمع كبير

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٠) ، تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٩) .
(٢) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٠) .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢) ، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي: ص: (٤٠٦) .
(٤) الإنصاف ، د . حامد: ص (٤٠٦) .

انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشياً مجدعاً يرعى أعنزاً في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمى فى أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدي لكم أبي وأمي. فقال القوم: دعنا منك فإنا والله لا ندعو ثقل رسول الله ﷺ لشيء [١] أبداً.

٢ - كعب بن سور:

أحد كبار التابعين، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده، إذ قتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح [٢].

٣ - القعقاع بن عمرو التميمي:

أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: ألق هذين الرجلين فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظم عليهما الاختلاف والفرقة، وذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة - رضي الله عنها - وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

محاورة القعقاع لطلحة والزبير: ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان رضي الله عنه، ولابد أن يقتلوا فإن تركوا دون قصاص كان هذا تركاً للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتص منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم

---

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ٨٧)، خلافة علي، عبد الحميد: ص (١٤٨).

(٢) الطبقات لابن سعد (٧ / ٩٢) من طريقين صحيحين الإسناد، وخلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٤٩).

حرقوصاً ولم تقتلوه ، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون علياً به ، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم ، فقد وقعتم في المحظور ، وقويتموهم ، وأصابكم ما تكرهون ، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر من هذه البلاد ، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لبني سعد ، وهذا ما حصل مع علي ، ووجود قتلة عثمان في جيشه .

الحل عند القعقاع: التأني والتسكين ثم القصاص: تأثرت أم المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة ، فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول: "هذا أمر دواؤه التسكين ، ولابد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان ، فإذا انتهت الخلافات واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان وإن أنتم بايعتم علياً [1] واتفقتم معه كان هذا علامة خير ، وتباشير رحمة ، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان وإن أنتم أبيتم ذلك وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر وذهاباً لهذا الملك فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً ولا تعرضونا للبلاء ، فتتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف ألا يتم ، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن ما نزل بها أمر عظيم وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا قتل النفر الرجل ، ولا قتل القبيلة القبيلة" .

اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص ، ووافقوا على دعوته إلى الصلح وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة ، فارجع ، فإن قدم علي ، وهو على مثل رأيك ، صلح هذا الأمر إن شاء الله . عاد القعقاع إلى علي في (ذي قار) وقد نجح في مهمته ، وأخبر علي بما جرى معه فأعجب علي بذلك وأوشك القوم على الصلح ، كرهه من كرهه ، ورضيه من رضيه [2] .

بشائر الاتفاق بين الفريقين: لما عاد القعقاع وأخبره بمافعل ، أرسل علي ﷺ رسولين [3] إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو ، فجاءا عليا ، بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم ، فارتحل علي حتى نزل بحيالهم ، فنزلت القبائل إلى قبائلهم ، مضر إلى مضر ، وربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى اليمن ، وهم لا يشكون في الصلح ، فكان بعضهم بحيال

---

(١) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان .
(٢) البداية والنهاية (٧ / ٧٣٩) ، تاريخ الطبري (٥ / ٥٢١) .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥) .

بعض ، وبعضهم يخرج إلى بعض ، ولا يذكرون ولا ينون إلا الصلح[١] ، وكان أمير المؤمنين علي ﷺ لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا - يقصد إلى البصرة - ألا ولا يرتحلن غداً إحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس [٢].

تاسعاً نشوب القتال :

١ - دور السبئية في نشوب الحرب :

كان في معسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ، ومن تنتصر له قبيلته ، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله ، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره [٣] ، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص [٤] . فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا ، خرج علي وخرج طلحة والزبير ، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع ، فافترقوا على ذلك ، ورجع علي إلى عسكره ، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما ، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما ، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان ﷺ فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح ، فكان بعضهم بحيال بعض ، وبعضهم يخرج إلى بعض ، لايذكرون ولا ينوون إلا الصلح .

وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط ، إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ، وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء ورأى الناس فينا - والله - واحد ، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا [٥] .

وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ - وهو المشير فيهم - فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ، ولا تفرغوهم للنظر ، فإذا

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٣٩) .
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٥) .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٦) .
(٤) المصدر نفسه (٥ / ٥٢٧) ، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٢٠) .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٢٦) .

من أنتم معه لم يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهوه ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون [١] ، فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر ، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة ، وما يشعر بهم جيرانهم ، فخرج مضريهم إلى مضريهم ، وربيعيهم إلى ربيعيهم ، ويمانيهم إلى يمانيهم ، فوضعوا فيهم السيوف ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم ، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر ، فبعثا إلى الميمنة ، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والميسرة ، يرأسها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا في القلب ، فقالا: ما هذا؟ قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلاً ، فقالا: ما علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة ، وإنه لن يطاوعنا ، ثم رجعا بأهل البصرة ، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم [٢] ، فسمع على وأهل الكوفة الصوت ، وقد وضع السبئية رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون ، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم ، وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة ، والسبئية لا تفتر إنشاباً [٣] .

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الروية حتى تتضح الحقيقة ، فعلي ومن معه يتفقون على ألا يبدءوا بالقتال حتى يبدءوا طلباً للحجة واستحقاقاً على الآخرين بها ، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرا ، ولا يجهزون على جريح ، ولكن السبئية لا تفتر إنشاباً [٤] ، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون ، فما زاد أن قال: أف أف فراش نار وذبان طمع [٥] ، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة .

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه "السبئية" في المعركة ويتضح - بما لا يدع مجالاً للشك - حرص الصحابة ﷺ على الإصلاح وجمع الكلمة ، وهذا هو الحق الذي

(١) المصدر نفسه (٥ / ٥٢٧) .
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١) .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١) .
(٤) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١) .
(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٢) .

تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس [١] . وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين ، أو بأوباش الطائفتين ، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان ، أو نبزوهم بالسفهاء ، أو بالغوغاء ، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية [٢] . . وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ – جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة: أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم ، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان [٣] .

ب – قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة ، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين [٤] .

جـ – وقال الباقلاني: . . . وتم الصلح والتفرق على الرضا ، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم ، والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ، ثم اتفقت آراؤهم على أن يتفرقوا فرقتين ، ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا ، ويصيح الفريق الذي في عسكر عليّ: غدر طلحة والزبير ، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر عليّ ، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب ، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الإشاطة بدمه ، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع ، والامتناع منهم على هذا السبيل ، فهذا هو الصحيح المشهور ، وإليه نميل ، وبه نقول [٥] .

د – ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء ، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير – رضوان الله عليهم – على الصلح ، وترك الحرب ، واستقبال النظر في الأمر وأن من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك ، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم ، فدبروا في إلقاء ما هو معروف ، وتم ذلك [٦] .

هـ – ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليّ على البصرة ، وتدانوا ليتراءوا فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا بإراقة الدماء ، واشتجرت الحرب ، وكثرت

---

(١) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام: ص (١٩٢ ، ١٩٣) .
(٢) المصدر نفسه: ص (١٩٤) .
(٣) فتح الباري (١٣ / ٥٦) .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية: ص (٥٤٦) .
(٥) التمهيد: ص (٢٣٣) .
(٦) تثبيت دلائل النبوة للهمداني: ص (٢٩٩) .

الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف [١].

و - ويقول ابن حزم: ... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن - ولا شك - أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، ولم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرابها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ، فانصرف ومات من وقته ﷺ، وقتل الزبير بوادي السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر [٢].

ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين [٣]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس [٤]. وفي كتاب "دول الإسلام": والتحم القتال مع "الغوغاء" وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير [٥].

ويقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرحة بدور "السبئية" في الجمل، تفسر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول إن هذه المشكلة أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه "السبئية" كما هي العادة في بعض الحركات

---

(١) العواصم من القواصم: ص (١٥٦، ١٥٧).
(٢) الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٥٧، ١٥٨).
(٣) العبر (١ / ٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).
(٤) تاريخ الإسلام (١ / ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).
(٥) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

الفوغائية التي تستغل من قبل المفسدين؟! [١] .

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دوراً في الإسهام بتلك الأحداث ، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين ، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقته ناصعة لا تحتاج إلى عناء ، وكفى بسواد الفتنة حاجباً عن التروي والإبصار [٢] ، ولا نبعد كثيراً ، فهذا الأحنف بن قيس - وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل - يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب ، حتى لقيه أبو بكرة [٣] ، فقال يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: «إذا تواجه المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار» ، فقلت أو قيل: يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان قد أراد قتل صاحبه» [٤] . إن القتال مع علي كان حقاً وصواباً ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران ، ولكن أبا بكرة ﷺ حمل حديثاً ورد في غير الحالة التي قاتل فيها علىّ على حالة قتال الباغين ، وهو فهم منه ﷺ ولكنه فهم في غير محله .

ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليا ﷺ في معركته مع الآخرين منها أمثال هذه الفتاوى التي هي أقرّ عن ورع أكثر منها أثراً عن فتوى تصيب محلها [٥] .

هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي - رضي الله عنهما - ، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين [٦] .

ونقترب أكثر فإن الزبير ﷺ - وهو طرف أساسي في المعركة - يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه هي الفتنة التي كنا نحدث عنها ، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك ، إنا نبصر ولا نبصر ، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه ، غير هذا

---

(١) عبد الله بن سبأ للعودة ص (١٩٦) .

(٢) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، كما قال الإمام أحمد وعزا هذا القول إلى الأكثرين ، وقيل إنه نفيع ابن مسروح وبه جزم ابن سعد ، وقيل اسمه مسروح وبه جزم ابن إسحاق ، وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة من فضلاء الصحابة ، ومن أهل الطائف ، وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين ، قيل في سبب كنيته أنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بها . توفى بالبصرة ٥٢ هـ .

(٣) مسلم (٤ / ٢٢١٣) . ، ك الفتن .

(٤) الأساس في السنة وفقهها ، السيرة النبوية (٤ / ١٧١١) .

(٥) صحيح مسلم على شرح النووي (١٨ / ١٠) .

(٦) تاريخ الطبري (٥ / ٥٠٦) .

الأمـر ، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر [١] ، ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا ، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً [٢] .

وفي الطـرف الآخر يؤكد أصحاب علي ﷺ على الفتنة فيقول عمار ﷺ في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، ولكنها مما ابتليتم [٣] .

٢ - الجولة الأولى في معركة الجمل :

زاد السبئيون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال ، ومهاجمة الفريق الآخر ، وإغراء كل فريق بخصمه ، وتهييجه على قتاله ، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة ، وهي معركة الجمل ، وسميت بذلك لأن أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة ، تركب الجمل الذي قدمه لها يعلي بن أمية في مكة ، حيث اشتراه من اليمن ، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة ، ثم ركبته أثناء المعركة ، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادي الثانية ، سنة ست وثلاثين ، في منطقة ' الزابوقة ' قرب البصرة ، حزن علي لما جرى ، ونادى مناديه: كفوا عن القتال أيها الناس . ولم يسمع نداءه أحد فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه [٤] ، كانت معركة الجمل على جولتين: الجولة الأولى كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة ونادى على في جيشه كما نادى طلحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تلحقوا خارجاً من المعركة تاركاً لها [٥] .

وقد كان الزبير ﷺ وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلوماً ، وإن أكبر همي ديني [٦] .

وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير ، وعرض عليه أن يقتل علياً ، وذلك بأن يندس مع جيشه ، ثم يفتك به ، فأنكر عليه بشدة ، وقال: لا ، لا يفتك مؤمن بمؤمن ، أو أن الإيمان قيد الفتك [٧] ،

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٠٦) .
(٢) المصدر نفسه (٥ / ٥١٦) .
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١) .
(٤) المصدر نفسه (٥ / ٥٤١ ، ٥٤٣) ، الخلفاء الراشدون للخالدي: ص (٢٤٥) .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤١) .
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٥٤٣) ، الخلفاء الراشدون للخالدي: ص (٢٤٥) .
(٧) مسند أحمد (٣ / ١٩) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح .

فالـزبير ﷺ ليس لـه غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان ، وقد دعا أمير المؤمـنين علـي الـزبير ، فكلمـه بألطـف العـبارة ، وأجمل الحديث ، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسـول الله ﷺ يقـول لـه - أي الزبير - «**لتقاتلنه وأنت لـه ظالم**» [١] - وهذا الحديث ليس لـه إسـناد صـحيح [٢] . وبعـض الروايات ترجع السبب في انصراف الزبير ﷺ قبيل المعركة لما علم بوجـود عمـار بـن ياسـر في الـصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله ﷺ «**تقتل عمار الفئة الباغية**» [٣] ، فلعلـه سمعـه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[٤] ، وبعضها يرجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه [٥] ، من هذه الفتنة - كما يسميها - .

وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى أن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، ذكره بالقرابة القـوية مـن علي ، إذ قال لـه: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالـب بن عبد المطلب [٦] ، فخرج الزبير من المعركة ، فلقيه ابن جرموز فقتله [٧] كما سيأتي تفصيله بإذن الله ، فالزبير ﷺ كان على وعي لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لما رأى حلول الـسلاح مكـان الإصـلاح رجـع ، ولم يقاتـل ، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالـب؟ فـيه حـذف مفهـومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل؟ [٨] وعلى إثر هذا الحديث انـصرف الـزبير وتـرك الـساحة ، وربمـا كانت عوامل متعددة ومتداخله أسهمت في خروج الـزبير مـن ساحة المعركة ، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة ، فقد أصيب في بداية المعركة ، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه ، فأصابه إصابة مباشرة ، ونزف دمه بغـزارة فقالـوا لـه: يـا أبـا محمـد ، إنك لجريح ، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها ، فقال طلحـة لغلامـة: احملـني ، وابحـث لي عن مكان مناسب ، فأدخل البصرة ووضع في دار فيها ليعالج ، ولكن جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت ، ثم دفن في البصرة ﷺ [٩] .

وأمـا الـرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال وأن الزبير لما رأى الهزيمة

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠١) خرج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف .
(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢ / ٣٢٤) ، المطالب العالية رقم (٤٤٦٨) .
(٣) مسند أحمد (١ / ٤٧ - ٤٩) ، (١١ / ٣٨) إسناده صحيح ، تحقيق أحمد شاكر .
(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٥٤) .
(٥) المصدر نفسه ص (١٥٤) ، تاريخ الطبري (٥ / ٥٠٦) .
(٦) الطبقات (٣ / ١١٠) إسناده صحيح ، خلافة علي: ص (١٥٥) .
(٧) الطبقات (٣ / ١٠) ، تاريخ خليفة: ص (١٨٦) .
(٨) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢ / ٢٤٨) .
(٩) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣) .

على أهل البصرة ترك المعركة ومضى ، فهذه الرواية لا تصح [١] ، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح ، فكيف ينسجم هذا الفعل مع الزبير ﷺ ، مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير ﷺ ، كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة ، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي ، وفيه أن الزبير ﷺ ، سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك القتال [٢] ، وكذلك طلحة ، فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء ، وأما عن مقتل طلحة ﷺ فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس [٣] .

ويخرج الزبير من ميدان المعركة ، ويموت طلحة ، رضي الله عنهما ، وبسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل ، وكانت الغلبة فيها لجيش علي ، وكان علي ﷺ يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين فيتألم ويحزن ، وأقبل علي على ابنه الحسن ، وضمه إلى صدره ، وصار يبكي ويقول له: يا بني ، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً . فقال الحسن: يا أبت ، لقد كنت نهيتك عن هذا ، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد ، وما طعم الحياة بعد هذا؟ وأي خير يرجى بعد هذا؟ [٤] .

٣ - الجولة الثانية :

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال ، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية ، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفاً يدع الناس إلى وقف الحرب ، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس ، فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل [٥] ، وحمل كعب بن سور المصحف ، وتقدم أمام جيش البصرة ، ونادى جيش عليّ قائلاً: يا قوم ، أنا كعب بن سور ، قاضي البصرة ، أدعوكم إلى كتاب الله ، والعمل بما فيه ، والصلح على أساسه ، وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد ، فلقي وجه الله ، ومات والمصحف

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤٠) .
(٢) المستدرك (٣ / ٣٦٦) ، استشهاد عثمان: ص (٢٠٠) .
(٣) تاريخ خليفة ص: ١٨٥ ، استشهاد عثمان: ص (٢٠٢) .
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٥٢١) .
(٥) مصنف عبد الرزاق (٥ / ٤٥٦) ، بسند صحيح إلى الزهري

في يده [١] ، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها ، فصارت تنادي ، وتقول: يـا بـني ، الله ، الله ، اذكـروا الله ويوم الحساب ، وكفوا عن القتال . والسبئيون لا يستجيبون لهـا ، وهـم مـستمرون في ضـرب جـيش البـصرة ، وكـان علي من الخلف يأمر بالكف عن القـتال ، وعـدم الهجـوم علـى البصريين ، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون لـه ، ويأبـون إلا إقداماً وهجوماً وقتالاً ، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها ، ومقتل كعب ابن سور أمامها ، قالت: أيها الناس ، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم .

وصـارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم ، وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم ، ولعنهم ، وسمع علي الدعاء عالياً في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان ، والناس يدعون معها . قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان وأشـياعهم والعـنوهم . وضج جيش علي بلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم [٢] ، وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل [٣] .

اشـتدت الحـرب واشـتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح ، وبعد تقصف الرماح ، اسـتلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت [٤] ، ودنا الناس بعضهم من بعض [٥] ، ووجه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين ، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها ، وقاتلوا أمام الجمل ، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل ، حيث كانت المعركة أمـام الجمـل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمي فـيه مـن النـبل [٦] ، وقـتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير [٧] .

وقـد أصـيبت عائـشة بحـيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغماً عنها ، وأصـبحت في وسـط المعمعـة وسارت تنادي بالكف ، فلا مجيب ، وكان كل من أخذ بخطام الجمـل قـتل ، فجاء محمد بن طلحة "السجاد" وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمـرين؟ فقالـت: كن كخيري ابني آدم - أي كف يدك فأغمد سيفه بعد أن سله فقتل رحمه

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣) .
(٢) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٦٨) بسند صحيح ، سنن سعيد بن منصور (٢ / ٢٣٦) بسند صحيح .
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٥٨) رجاله رجال الصحيح .
(٥) الطبقات (٥ / ٢) بسند صحيح .
(٦) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٣) ، تاريخ خليفة: ص (١٩٠) بسند صحيح .
(٧) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٤) .

الله [١] ، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قتل معه ، وذلك أنه سارعه فسقطا على الأرض جميعاً ، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني [٢] ، ومالكاً ، لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان رضي الله عنه ، ولكن الأشتر لم يكن معروفاً بمالك ، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة [٣] ، وأما عبد الله بن الزبير ، قد قاتل قتالاً منقطع النظير ، ورمى بنفسه بين السيوف ، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة ، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر ، إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس على فرسه بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظاناً أنه قتله[٤] ، واستحر القتل أيضاً في بني عدي وبني ضبة والأزد ، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين ، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربي الضبي برجزه .

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ::: نـنازل الموت إذا الموت نزل
الموت عندنا أحلى من العسل ::: ننعي ابن عفان بأطراف الأسل [٥]

أدرك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بما أوتي من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة - أن في بقاء الجمل استمراراً للحرب - وهلاكاً للناس ، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان ، كما أن في بقائها خطراً على حياتها ، فالهودج الذي هي فيه أصبح كالقنفذ من السهام [٦] ، فأمر عدة نفر من جنده منهم محمد بن أبي بكر (أخو أم المؤمنين) ، وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة - ، أي يضربا قوائم الجمل بالسيف - فعقروا الجمل [٧] ، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي ، فأمر به علي ، فأدخل في منزل عبد الله ابن بديل[٨] ، وصدق حدس علي ﷺ العسكري ، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف ، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان ، حتى ولوا

---

(١) نسب قريش: ص (٢٨١) ، التاريخ الصغير للبخاري (١ / ١١٠) بسند صحيح .
(٢) مصنف ابن أبي شيبه (١٥ / ٢٢٨) ، مرويات أبي مخنف ص (٢٦٨) إسناده صحيح
(٣) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد: ص (١٥٩)
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٢٨) بسند صححه ابن حجر في الفتح (١٣ / ٥٧ ، ٥٨) .
(٥) تاريخ خليفة: ص (١٩٠) بسند حسن ، وخلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٥٩) .
(٦) أنساب الأشراف للبلاذري (٢ / ٤٣) بسند متصل .
(٧) أعلام الحديث للخطابي (٣ / ١٦١١)
(٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦ ، ٢٨٧) بسند جيد ، الفتح (١٣ / ٥٧)

الأدبار منهزمين . ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل أو ينهزم جيش علي ، وعندما بدأت الهزيمة نادى علي أو مناديه في جيشه ألا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط ، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء ونهاهم أن يدخلوا الدور ، ليس هذا فحسب ، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئاً من متاع عند أحد من أصحابه فله أن يسترده ، فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحماً في قدر له فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقاً عليهم[١] .

٤- عدد القتلى :

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات ، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة [٢] .

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفاً [٣] ، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل ، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي ، فقد بالغ كثيراً - بحكم ميوله - وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن إذ ذكر أن العشرين ألفاً هم من أهل البصرة[٤] .

وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ﷺ ونصفهم من أصحاب عائشة - رضي الله عنها - وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفاً خمسة آلاف من أهل الكوفة ، وعشرة آلاف من أهل البصرة ، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية [٥] ، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره ، وفيهما مبالغة أيضاً ، ويذكر عمر ابن شبة بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف ، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً [٦] ، أما اليعقوبي ، فقد جاوز هؤلاء جميعاً ، إذ وضع عدد القتلى اثنين وثلاثين ألفاً [٧] .

وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً ، وكان من أسباب المبالغة:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦ ، ٢٨٧) بسند جيد ، الفتح (١٣ / ٥٧)
(٢) مروج الذهب (٣ / ٣٦٧) .
(٣) مروج الذهب (٣ / ٣٦٧) .
(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦) بسند مرسل .
(٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٤٢ - ٥٥٥) .
(٦) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦) إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة .
(٧) مصنف بن أبي شيبة (٧ / ٥٤٦) ، فتح الباري (١٣ / ٦٢) .

أ - رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم ، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحاب والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ .

ب - إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل ، في تضخيم ما جرى وتكبيره ، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم ، فضلاً عن وجود قصاص السمر ، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم ، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها .

جـ - إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم [١]

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

* قصر مدة القتال ، حيث أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح [٢] ، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه .

* الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا .

* قياساً بعدد شهداء المسلمين بمعركة اليرموك (ثلاثة آلاف شهيد) ، ومعركة القادسية (ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد) ، وهي التي استمرت عدة أيام ، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً هذا مع الأخذ في الاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم .

* أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريباً من المائة[٣] ، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة ، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين ، وهذا هو الرقم الذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته (استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري - دراسة نقدية)[٤] .

٥ - هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله ؟

أشار كثير من الرواة إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله ﷺ ، هو مروان بن الحكم [٥] ، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة ، وذلك

---

(١) الإنصاف: ص (٤٥٥) .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٥٤٦٧) ، فتح الباري (١٣ / ٦٢) .
(٣) تاريخ خليفة: ص (١٨٧ ، ١٩٠) .
(٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢١٥) .
(٥) الطبقات (٣ / ٢٢٣) ، تاريخ المدينة (٤ / ١١٧٠) ، تاريخ خليفة: ص (١٨٥) .

للأسباب التالية: -

أ - قال ابن كثير: ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهوراً، والله أعلم [١].

ب - قال ابن العربي: قالوا إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب ولم ينقله ثبت [٢].

جـ - قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يعرف أبوه ولا صاحبه [٣].

د - بطلان السبب الذي قيل أن مروان قتل طلحة رضي الله عنه، من أجله: وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان ﷺ، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحداً من الصحابة قد أعان على قتل عثمان ﷺ.

هـ - كون مروان وطلحة، رضي الله عنهما، من صف واحد يوم الجمل: وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس [٤].

و - أن معاوية ﷺ قد ولى مروان على المدينة ومكة: فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية ﷺ، على رقاب المسلمين، وفي أقدس البقاع عند الله.

ز - وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري [٥]: مع ما عرف عن البخاري رحمه الله من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته - فلو صح قيام مروان بقتل طلحة ﷺ، لكان هذا سبباً كافياً لرد روايته والقدح في عدالته [٦].

٦ - نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها حتى نادى منادي علي: ألاَّ يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن،

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٤٨).
(٢) العواصم من القواصم: ص (١٥٧ - ١٦٠)
(٣) العواصم من القواصم: ص (١٥٧ - ١٦٠).
(٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).
(٥) فتح الباري (٢ / ٥٢٠)، استشهاد عثمان ص (٢٠٣).
(٦) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).

وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وقراع ، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء ، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده فله أن يأخذه [١] .

وقد ظن بعض الناس في جيش عليّ أن علياً سيقسم بينهم السبي ، فتكلموا به ونشروه بين الناس ، ولكن سرعان ما فاجأهم علي رضي الله عنه حين أعلن في ندائه: وليس لكم أم ولد ، والمواريث على فرائض الله ، وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة ، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوها على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم ، ففرقوا وقالوا: نستغفر الله ، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش ، ولكن ليرضيهم قسم عليهم ﷺ من بيت المال خمسمائة خمسمائة [٢] .

٧ - تفقده للقتلى وترحمه عليهم :

بعد انتهاء المعركة خرج علي يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه ، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، أما والله لقد كان شاباً صالحاً ، ثم قعد كئيباً حزيناً . . ودعا للقتلى بالمغفرة ، وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح [٣] ، وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين ، فقال لهن: إني لأرجو أن نكون من الذين قال الله فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] . ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت [٤] .

٨ - مبايعة أهل البصرة :

كان أمير المؤمنين علي ﷺ حريصاً على وحدة الصف واحترام رعايا الدولة ، ومعاملتهم المعاملة الكريمة ، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي ، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص ، فلما

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٦٨) عبد الحميد ، مصنف بن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦) بسند صحيح .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٨٦) بسند صححه ابن حجر (١٣ / ٥٧) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٦١) ، المستدرك (٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٣٧٥) والإسناد حسن لغيره ، خلافة علي بن أبي طالب ، ص (١٦٩) .
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٢٦٨ - ٢٦٩) خلافة علي ص: (١٦٩) عبد الحميد .

صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته ، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها ، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس ، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخي وأتنا في الحاجة إذا كانت لك ، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه ، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي ﷺ يبايعونه ، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة [(١)] ، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة ، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش ، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس ﷺ ليكلموا علياً فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء ، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل ، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه [(٢)] ، كما أن مروان ﷺ أثنى على فعال أمير المؤمنين علي فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك ، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر ، ولا يذفف على جريح [(٣)] .

وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي ، وولى عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، وولى على خراجها زياد بن أبيه ، وأراد علي ﷺ أن يمكث فيها مدة أطول ، لولا أن مالكاً (الأشتر) أعجله من ذلك ، وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية فلما علم بأن ابن عباس ولى إمارة البصرة غضب وسار في قومه ، فخشي علي ﷺ منه شراً وفتنة ، فاستعجل ببقية جيشه ، وأدركه ، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئاً [(٤)] .

٩ - حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ : «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» [(٥)] .

قال القرطبي: قال: علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة - في أصحاب النبي ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ

---

(١) الطبقات (٣ / ٢٢٤) بسند حسن ، المستدرك (٣ / ٣٧٦ ، ٣٧٧) .
(٢) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٣٣٧) بسند حسن .
(٣) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي: ص (١١١) ، فتح الباري (١٣ / ٦٢) .
(٤) فتح الباري (١٣ / ٥٧) ، خلافة علي ، عبد الحميد: ص (١٧٤) .
(٥) مسلم . ك الفتن (٤ / ٢٣٣) .

وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩ ، ١٠] فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله . وهذا يدل على أن قوله: «**القاتل والمقتول في النار**» ليس في أصحاب النبي ﷺ ، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل .

قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف ، لما أقيم حد ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين ، وسبي نسائهم ، وسفك دمائهم ، بأن يتحزبوا عليهم ، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها ، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها [١] .

وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها ، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك ، وقد يعفو الله تعالى عنه ، هذا مذهب أهل الحق . . . وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره . واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة ﷺ ، ليست بداخلة في هذا الوعيد ، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم ، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله ، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ في الاجتهاد ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه ، وكان علي ﷺ هو المحق المصيب في تلك الحروب ، هذا هو مذهب أهل السنة ، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم [٢] .

١٠ - تاريخ معركة الجمل :

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ - أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين ، وكانت الوقعة يوم الجمعة [٣] .

---

(١) التذكرة (٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٣) .
(٢) شرح صحيح مسلم (٨ / ٢٢٧ ، ٢٢٨) .
(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٤ ، ١٨٥) .

ب - أخرج عمر بن شبة أن الوقعة كانت في النصف من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين[١].

جـ - أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الواقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين[٢].

د - ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادي الأولى[٣]، غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

١١ - أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟:

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي. فلم يرد عليها علي شيئاً، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟

فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟![٤].

١٢ - اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي إلى أمير المؤمنين فبايعه فقال له علي: أين المريض؟ - يعني أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٦١).
(٢) استشهاد عثمان: ص (٢٠٦) نقلاً عن تاريخ الطبري.
(٣) مروج الذهب (٢ / ٣٦٠)
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٣٥٧).

أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد [١] .

١٣ - موقف أمير المؤمنين علي ممن ينال من عائشة :

قال رجل: يا أمير المؤمنين ، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر علي القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة ، وأن يخرجهما من ثيابهما [٢] ، وقد قام القعقاع بذلك .

١٤ - دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة :

عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي ، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحاً منبوذاً مذموماً مدحوراً [٣] . وجاء في رواية: اغرب مقبوحاً ، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ ؟! [٤] .

وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي رضي الله عنهما فقال: حليلة رسول الله ﷺ [٥] .

عاشراً : بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان ، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية ، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس ، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست ، ودخل بها وهي بنت تسع سنين ، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى ، وقيل في السنة الثانية من الهجرة ، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات ، وكانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق ، فكان الأكابر من الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين ، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها ، وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها ، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان ، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها[٦] ، ومناقبها ، رضي الله عنها ، كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٣٥٧) .
(٢) البداية والنهاية (٧ / ٣٥٧) .
(٣) فضائل الصحابة (٢ / ١١٠) إسناده ضعيف ، ضعيف سنن الترمذي رقم (٨١٥) للألباني .
(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٧٩) حديث حسن قاله الذهبي .
(٥) المصدر نفسه (٢ / ١٧٦) حديث حسن
(٦) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٣٥ - ٢٠١) طبقات ابن سعد (٨ / ٥٨) ، البداية والنهاية (٨/ ٩٥) .

رضي الله عنهن وأرضاهن منها:

١ - مجيء الملك بصورتها إلى النبي ﷺ في سرقة [١] من حرير قبل زواجها به ﷺ:

فقد روى الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه**» [٢].

٢ - أحب أزواج النبي ﷺ: وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل [٣]، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**» [٤]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً، وقد قال: «**لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل**»، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً [٥].

٣ - نزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام: فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «**يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها**» [٦].

---

(١) أي في قطعة من جيد الحرير، انظر: النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٦٢).

(٢) مسلم رقم (٢٤٣٨).

(٣) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافي من الماء، والنهاية لابن الأثير (٢ / ٣٨٩).

(٤) البخاري رقم (٤٣٥٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٤٣).

(٦) البخاري رقم (٣٧٧٥)، ك فضائل الصحابة.

وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها [١].

٤ - **أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ** : فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «**يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام**» فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى - تريد رسول الله ﷺ - [٢].

٥ - **بدأ النبي ﷺ بتخييرها عند نزول آية التخيير**: وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فاستن بها بقية أزواجه ﷺ فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «**إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك**». قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله - جل ثناؤه - قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩] قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت [٣].

٦ - **نزول آيات من كتاب الله بسببها، فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة**: فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦].

قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٤٣).

(٢) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٦٨).

(٣) البخاري: ك التفسير رقم (٤٧٨٩).

وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة ، وشهد لها بأنها من الطيبات ، ووعدها المغفرة والرزق الكريم ، وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا خافضاً من شأنها ، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها ، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء ، فيا لها من منقبة من أجلها!

وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها [١] . فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة ، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها ، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ [٢] .

قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على مد الزمان . . . وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[٣] .

وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة ، فقدر روى البخاري بإسناده إلى عائشة ، رضي الله عنها ، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت ، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء ، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه ، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً ، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً[٤] .

٧ – كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرض في بيتها: فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها وفي يومها ، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا ، وأول ساعة من الآخرة ، ودفن في بيتها [٥] ، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة ، رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: «**أين أنا غداً؟**»

---

(١) البخاري رقم (٤١٤١) .
(٢) جلاء الإفهام: ص (١٢٤ ، ١٢٥) .
(٣) البداية والنهاية (٨ / ٩٥) ، تفسير القرآن العظيم (٣ / ٢٦٨) .
(٤) البخاري ، رقم (٣٣٦) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨٩) ، البداية والنهاية (٨ / ٩٥) .

حرصاً على بيت عائشة ، قالت: فلما كان يومي سكن [١] . وعند مسلم عنها أيضاً قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: «**أين أنا اليوم، أين أنا غداً؟**» استبطاء ليوم عائشة ، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري [٢] .

وروى البخاري أيضاً بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «**أين أنا غداً، أين أنا غداً؟**» يريد يوم عائشة ، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها . قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي ، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري ، وخالط ريقه ريقي ، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به ، فنظر إليه رسول ﷺ الله فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن ، فأعطانيه فقصمته ، ثم مضغته ، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به ، وهو مستند إلى صدري . وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة [٣] .

٨ – **إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة**: فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة ، رضي الله عنها ، قالت: قلت: يا رسول الله ، من أزواجك في الجنة؟ قال: «**أما إنك منهن؟**» قالت: فخيل إلي أن ذاك أنه لم يتزوج بكراً غيري [٤] . وروى البخاري بإسناده إلى القاسم ابن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ ، وعلى أبي بكر [٥] . وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة ، رضي الله عنها ، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف [٦] .

٩ – **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**: ما رواه الشيخان إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» [٧] .

قال النووي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق ، فثريد اللحم

---

(١) البخاري ، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٤) .
(٢) مسلم ، ك الصحابة رقم (٢٤٤٣) .
(٣) البخاري ، رقم (٤٤٥٠ ، ٤٤٥١) .
(٤) المستدرك (٤ / ١٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
(٥) البخاري ، رقم (٣٧٧١) .
(٦) فتح الباري ، (٧ / ١٠٨) ، العقيدة في أهل البيت: ص (٩٥) .
(٧) البخاري ،رقم (٣٧٧٠) .

أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة [١].

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها، وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلفة، وآثارهم الموضوعة، وجاءوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأولوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب "ثم اهتديت" وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي [٢].

وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة - رضي الله عنها - بل فيه أعظم فضيلة لها، وهى أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟ فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة - رضي الله عنها - قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار - رضي الله عنه - الذي كان مخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ﷺ [٣]، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبي ﷺ، على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال لها: «**أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟**» قالت: بلى والله، قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة [٤]. فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة - رضي الله عنها - ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها [٥]، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[٦]. فليس بمطعن على أم

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥ / ٢٠٨، ٢٠٩).
(٢) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٢).
(٣) الانتصار للصحب والآل ص: (٤٤٨).
(٤) المستدرك (٤ / ١٠)، الصحيح المسند لمصطفى العدوي: ص (٣٥٦)
(٥) البخاري رقم (٣٧٧٢).
(٦) البخاري رقم (٣٧٧٢).

المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وبيان ذلك من وجوه:

أ - أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة - رضي الله عنها - ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر [١].

ب - أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة فقد يكون ناسياً أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

جـ - أن عماراً ﷺ ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها [٢].

وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحاً منبوذاً، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها [٣].

وأما قول الشيعة الروافض، أن النبي ﷺ قام خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة فقال: «**ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان**»، وطعنهم على عائشة - رضي الله عنها - بذلك وزعمهم أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها، فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق، وتدليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك بتفسيره قول الراوي: فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة.

والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوي قال: أشار نحو مسكن عائشة، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس [٤]، وهذا الحديث قد جاء مخرجاً في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض، ويغني عن التكلف في الرد عليهم بأي شيء آخر،

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٨).
(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٠، ٤٥١).
(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢٤٨).
(٤) البخاري رقم (٣١٠٤).

وهـا هي بعض ذي روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر - رضي الله عنهما - فعن لـيث عـن نافـع عـن ابـن عمـر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة هنا من حيث يطلع قرن الشيطان**» (١)، وعن عبيد بن عمر قال: حـدثني نافـع عـن ابـن عمـر أن رسـول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «**الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان**»(٢) قالها مرتين أو ثلاثاً، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسـول الله ﷺ قـال وهـو مـستقبل المـشرق «**ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتـنة ههـنا من حيث يطلع قرن الشيطان**» (٣). وفي هـذه الروايات تحديد صريح للجهة المـشار إلـيها وهـي جهـة المـشرق، وفـيها تفـسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الـروافض (٤)، كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها فعن نافـع عـن ابـن عمـر قـال: ذكـر النبي ﷺ فقال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا (٥)، فأظنه قال الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**» (٦).

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكـبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء مـن ههـنا - وأومـأ بيده نحو المشرق - من حيث يطلع قرنا الشيطان**» (٧). وفي بعـض الـروايات جـاء ذكـر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مـسعود قـال: أشـار رسـول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «**ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين** (٨)، **وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر**» (٩).

فدلت هذه الرّوايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي ﷺ من قولـه: «**الفتنة ههنا**» وأن

---

(١) البخاري رقم (٧٠٩٣)، مسلم رقم (٢٩٠٥).
(٢) مسلم، ك الفتن (٤ / ٢٢٢٩).
(٣) مسلم، ك الفتن (٤ / ٢٢٢٩).
(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٣).
(٥) نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.
(٦) البخاري رقم (٧٠٩٥).
(٧) مسلم، ك الفتنة من المشرق (٤ / ٢٢٢٩).
(٨) الفدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.
(٩) البخاري رقم (٣٣٠٢)، الانتصار للصحب والآل ص (٤٥٣).

المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأى ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الشيعة الروافض [١].

١٠ - المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهم: قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع [٢]... وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها ما تميزت به عن غيرها [٣]، وقال ابن حجر: وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة [٤]، وقال في شرح حديث أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم [٥].

وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن - رضي الله عنهن - نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك لقوله: ﷺ «**لقد فضلت خديجة على نساء أمتي**» [٦] وقال ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**» [٧]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل [٨].

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٩٤).
(٣) المصدر نفسه (٤ / ٣٩٣).
(٤) فتح الباري (٧ / ١٠٩).
(٥) فتح الباري (٧ / ١٣٩).
(٦) فتح الباري (٧ / ١٣٥) و مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٣).
(٧) الإحسان لابن حبان (٩ / ٧٣)، صحيح الجامع للألباني (١ / ٣٧١).
(٨) فتح الباري (٧ / ١٣٥).

وقال ﷺ : «**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**» [١] ، وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة ، ثم إن اللفظ الوراد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله ﷺ : «**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟**» [٢] . وفي لفظ «**سيدة نساء أهل الجنة**» [٣] ، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل ، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة ، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة ، وهي وأمها أفضل نساء الأمة ، وبهذا وردت النصوص [٤] .

وأما ما ورد في تفضيل عائشة ، رضي الله عنها ، في قوله ﷺ «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر[٥]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة ، رضي الله عنها ، على غيرها ، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة ، وكان أجل طعمتهم يومئذ ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة ، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى [٦] ، فالحديث إذا دال على أفضلية عائشة ، رضي الله عنها ، على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة ، رضي الله عنهما لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة ، رضي الله عنها [٧] .

وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي ﷺ : أي النساء أحب إليك؟ فقال ﷺ عائشة [٨] فقد أشار ابن حبان إلى أنه مقيد في نسائه ﷺ إذ عقد عنوانا في صحيحه فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث ، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يارسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» ، فقلت: إني لست أعني النساء وإنما أعني الرجال ، فقال: «**أبو بكر**» أو قال: «**أبوها**» ، ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال

---

(١) فضائل الصحابة (٢ / ٧٥٥) . رقم (١٣٢٥) . وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣ / ١٧٤٥) .
(٢) البخاري رقم (٦٢٨٥) .
(٣) فتح الباري (٧ / ١٠٥) .
(٤) العقيدة في أهل البيت: ص (٩٧) .
(٥) فتح الباري (٧ / ١٠٧) .
(٦) المصدر نفسه (٦ / ٤٤٧) .
(٧) العقيدة في أهل البيت: ص (٩٧) .
(٨) البخاري رقم (٤٣٥٨) .

على أن مخرج السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها ، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ : من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قيل له ليس عن أهلك نسألك ، قال: «فأبوها» [١] . وبهذا يتبين أن عائشة ، تلي خديجة وفاطمة في الفضل ، رضي الله عنها إذن فكل ما ورد عن عموم تقديمها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة ، رضي الله عنهما ، ولا ينكر أن لعائشة ، رضي الله عنها ، من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضي الله عنهن ، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق [٢] .

وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة ، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة وخديجة وعائشة رضي الله عنهن ، حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة ، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها كما يفعل الشيعة الروافض؟! [٣] .

* هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟:

قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً [٤] . وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا ، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعتها الشيعة الروافض ، والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام ، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة ﷺ حرباً أهلية ، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأصرت عائشة ، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها ، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة ومن المصادر غير الموثوق بها مثل الإمامة والسياسة ، والأغاني ، ومروج الذهب وتاريخ اليعقوبي ، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان [٥] .

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩ / ١١) .

(٢) فتح الباري (٧ / ١٠٨) ، العقيدة في أهل البيت: ص (٩٨) .

(٣) الانتصار للصحب والآل: ص: (٤٦١) .

(٤) المغازي للزهري: ص (١٥٤) .

(٥) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل ، محمد جميل ، الحزبية السياسية ، رياض عيسى ، الحريم

* هل يصح هذا الحديث: تقاتلين علياً وأنت لـه ظالمة؟ إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المختلفة، ولا لـه إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بـل هـو كـذب قطعـاً، فـإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار [١].

* أمير المؤمنين علي ﷺ يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة: جهز أمير المؤمنين على عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا مـن أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمـد (ابـن الحنفية)، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الـناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واسـتزاده، فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بـيني وبـين علـي في القـديم إلا مـا يكـون بـين المـرأة وأحمائها، وإنا عندي علي معتبتي من الأخـيار.. وقـال علـي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنهـا لـزوجة نبـيكم ﷺ في الدنـيا والآخـرة. وخـرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها [٢] يوماً.

وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمـة ﷺ عندما قال لـه: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**». قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**». قـال: أنا؟ قال: «**نعم**». قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**» [٣].

وقـد خالـف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان في شيء في نفسها من علي رضي الله عنه لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره الـنبي ﷺ في فـراقها. فقـال: يـا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تـسأل الجاريـة تصدقك [٤]. وهذا الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي

السياسي، النبي والنساء، الدولة العربية فلها وزن، نقلاً عن دور المرأة السياسي، ص (٤٤٢).

(١) منهاج السنة (٢ / ١٨٥).

(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٨١).

(٣) مسند أحمد (٦ / ٣٩٣) إسناده حسن.

(٤) البخاري رقم (٤٧٨٦).

ﷺ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل وكان شديد الغيرة ، فرأى على أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها ، فيمكن رجعتها ، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدها [١] . قال النووي: رأي علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه ، فبذل جهده في النصيحة ، لإرادة راحة خاطره ﷺ [٢] . وعلي ﷺ لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تناولها بسوء ، فإنه على الرغم من قوله للنبي ﷺ: لم يضيق الله عليك [٣] ، إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ ناصحاً: وسل الجارية تصدقك [٤] ، فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها ، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة في نصيحة أخرى بسؤال الجارية ، وتحري الحقيقة [٥] ، وقد سأل رسول ﷺ الجارية التي كانت أكثر التصاقاً بعائشة ، فأكدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيراً ، وقد خرج رسول ﷺ من يومه الذي سأل فيه الجارية ، واستعذر من عبد الله بن أبي قائلاً: «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً**» [٦] .

لقد كانت نصيحة علي في صالح عائشة ، فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[٧] . ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه ﷺ لأجله ، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان ، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين وكما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات الشيعة الرافضة التي لفقوها ووضعوها .

* **نـدمهم على ما حصل منهم**: قال ابن تيمية . . . . وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم ، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم [٨] .

أ – **فـأمير المؤمـنين علي**: ورد عنه عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من

---

(١) دور المرأة السياسي ص (٤٦٢) .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٥ / ٦٣٤) .
(٣) البخاري رقم (٤٧٨٦) .
(٤) البخاري رقم (٤٧٨٦) .
(٥) دور المرأة السياسي ص (٤٦٢) .
(٦) البخاري رقم (٤٧٨٦) .
(٧) دور المرأة السياسي ص (٤٦٢) .
(٨) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقد كلام أهل الرفض والاعتزال ، ص (٢٢٢) .

الرجال، أنه قال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة [١].

ب - وروى نعيم بن حماد بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة [٢].

جـ - وعن الحسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمراً، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً [٣].

د - وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علي أنه سمع علياً يقول حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم -: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة [٤].

هـ - وأما عائشة: فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب إلي أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير [٥].

و - وكانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] تبكي حتى تبل خمارها [٦].

ز - قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولداً من رسول الله ﷺ وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأني ثكلتهم ولم يكن ما كان مني يوم الجمل [٧].

حـ - قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وهكذا عامة السابقين

---

(١) الفتن، نعيم بن حماد (١ / ٨٠).
(٢) الفتن، نعيم بن حماد (١ / ٨٠).
(٣) المصدر نفسه (١ / ٨١).
(٤) أحداث وأحاديث فتنة الهرج. ص (٢١٧).
(٥) الفتن، نعيم بن حماد (١ / ٨١).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٧٧)، الطبقات (٨ / ٨١).
(٧) التمهيد للباقلاني: ص (٢٣٢)، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشرف بني مخزوم، توفي قبل معاوية.

ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير خيارهم [١].

ط - قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ [٢].

حادي عشر: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده:

هو عبد الله الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي [٣]، ويجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهو حواري رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى [٤]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة [٥]، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله [٦]، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روي أن عم الزبير كان يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً [٧].

١ - أول من سل سيفه في سبيل الله: عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سل سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل إذ سمع نغمة: أن رسول الله قتل، فخرج من البيت متجرداً السيف صلتا، فلقيه رسول الله ﷺ كفة كفة [٨]، فقال: «ما شأنك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قتلت، قال: «فما كنت صانعاً؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي ﷺ بخير. قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي ﷺ [٩].

٢ - هجرته للحبشة: ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار "النجاشي" ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض: ص (٢٢٢، ٢٢٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٧٧).
(٣) الإصابة (١ / ٥٢٦ - ٥٢٨).
(٤) الطبقات الكبرى (٣ / ١٠٠)، الإصابة (١ / ٥٢٦ - ٥٢٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ٤١).
(٦) سير السلف (١ / ٢٢٦) الرواية مرسلة.
(٧) الطبراني في الكبير (١ / ١٢٢).
(٨) كفة كفة: أي مواجهة كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.
(٩) فضائل الصحابة (٢ / ٩١٤) رقم ١٢٦٠ إسناده ضعيف حسن لغيره.

خير جار ، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك ، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً وخافوا أن يظهر ذلك الرجل ، وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم ، وهنا أراد الصحابة ﷺ أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل [١] ، قالت أم سلمة - رضي الله عنها -: فقال أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا . قالوا: أنت؟ وكان من أحدث القوم سناً . قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده ، قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع ثوبه وهو يقول: ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده [٢] وبعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله ﷺ، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه ، وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها .

٣ - في غزوة بدر: كان الزبير ﷺ فارساً مقداماً ، وبطلاً مغواراً ، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد ، تراه في كل غزوة وفي كل معركة ، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة ، والبطولة النادرة ، والإخلاص الكامل ، والتفاني لإعلاء كلمة الحق [٣] ، ولقد بذل الزبير ﷺ ، الكثير في سبيل الله ، وجعل نفسه وماله وقفاً لله - عز وجل - فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة ، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر ، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير [٤] . فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها ، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدي ابن عمه أحمد ووزيره ::: عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس ::: شهد الوغى في اللأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة ::: بالحوض يوم تألب الأعداء [٥]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢٧٩) ، أصحاب الرسول (١ / ٢٧٤) .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢٧٩) .
(٣) أهل الشورى الستة ، رياض العبد الله: ص (٦٧) .
(٤) الطبراني في الكبير رقم ٢٣٠ مرسل صحيح الإسناد ، سير أعلام النبلاء (١ / ٤٦) .
(٥) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٥٠١) .

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال: أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه فطعنته في عينيه فمات ، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها . فسأله إياها رسول الله فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي ، فطلبها عبد الله بن الزبير ، فكانت عنده حتى قتل [١] .

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف ، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان ، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع ، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه حمى جسمه بالحديد الواقي ، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه ، فكانت بها نهايته ، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية ، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف [٢] . وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة [٣] .

٤ – في غزوة أحد: قال الزبير رضي الله عنه : جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد [٤] ، وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة ، فقد اتصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى ، وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة ، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال ، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ همم أصحابه ، ويعمل على رفع معنوياته وأخذ سيفاً وقال: «**من يأخذ مني هذا؟**» فبسطوا أيديهم ، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا – وكان من ضمنهم الزبير – قال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم ، فقال سماك بن خرشه أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «**أن تضرب به العدو حتى ينحني**» . قال أنا آخذه بحقه . فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب – أي يمشي مشية المتكبر – وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال: «**إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن**» [٥] .

ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين

---

(١) صحيح البخاري ، ك المغازي رقم (٣٩٩٨) .
(٢) التاريخ الإسلامي (٤ / ١٦٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١ / ٤٦) والرواية مرسلة .
(٤) فضائل الصحابة (٢ / ٩١٨) رقم (١٢٦٧) إسناده صحيح .
(٥) مسلم ، ك فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٠ .

سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت - وهكذا كانت تقول له إذا تعصب - فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ::: ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول [٢] ::: أضرب بسيف الله والرسول [١]

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان من المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف[٣] عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم[٤].

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[٥].

وعن هشام عن أبيه قالت عائشة: يا ابن أختي كان أبواك - يعني الزبير وأبا بكر - من ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدواً [٦].

ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب ﷺ في أحد جاءت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها، وقد مثل به المشركون فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام: «والقها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أمة إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في

(١) البداية والنهاية (٤ / ١٨).
(٢) الكيول: مؤخرة الصفوف.
(٣) ذفف: أجهز عليه.
(٤) البداية والنهاية (٤ / ١٨).
(٥) البداية والنهاية (٤ / ١٨).
(٦) البخاري رقم (٤٠٧٧).

الله ، فما أرضانا بما كان في ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن ، إن شاء الله فلما جاء الزبير بن العوام ﷺ إلى رسول الله فأخبره بذلك ، قال: «حل سبيلها» ، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت [١] ، واستغفرت له [٢] .

وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير أنه لما كان أحد أقبلت امرأة تسعى ، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى ، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم ، فقال: «المرأة المرأة» . قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية ، قال: فخرجت أسعى إليها ، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى ، قالت: فلدمت في صدري ، وكانت امرأة جلدة ، قالت: إليك ، لا أرض لك . قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك . قال: فوقفت ، وأخرجت ثوبين معها ، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة ، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل ، وقد فعل به كما فعل بحمزة ، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين ، والأنصارى لا كفن له ، فقلنا: لحمزة ثوب ، والأنصاري ثوب ، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر ، فأقرعنا بينهما ، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له [٣] .

٥ - في غزوة الخندق: «لكل نبي حواري وحواريي الزبير» [٤]: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «من يأتينا بخبر بني قريظة؟» فقال الزبير: أنا فذهب على فرس ، فجاء بخبرهم . ثم قال الثانية ، فقال الزبير: أنا ، فذهب ، ثم الثالثة ، فقال النبي ﷺ : «لكل نبي حواري وحواريي الزبير» [٥] . ومعنى قوله ﷺ : «وحواريي الزبير» أي خاصتي من أصحابي وناصري ، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام ، أي خلصاؤه وأنصاره ، فالحواري هو الناصر المخلص ، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير ﷺ ، ولذلك سمع عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، رجلاً يقول: أنا ابن الحواري ، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا [٦] . وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: «من يأتني بخبر القوم؟» قال الزبير:

---

(١) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ١٠٨) .
(٣) مسند أحمد (٣ / ٣٤) الموسوعة الحديثية إسناده حسن .
(٤) مسلم رقم (٢٤١٤) .
(٥) مسلم رقم (٢٤١٤) .
(٦) مصنف ابن أبي شيبة رقم (١٢٢١٩) ، صحيح . .

أنا ، قال: «**من يأتني بخبر القوم؟**» فقال: أنا ، وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره [١] .

وقد فداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه ، فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف ، قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم ، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**من يأتي بني قريظة فيأتني بخبرهم؟**» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**» [٢] . وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير ﷺ ، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه ، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره ، واعتداد بعمله ، واعتبار بأمره ، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له [٣] .

لقد نال الزبير في غزوة الخندق وساماً خالداً باقياً على مر السنين: «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**» [٤] . لقد وصف النبي ﷺ الزبير بالحواري ، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم ، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري ، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها ، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون ، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة ، لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار ، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها ، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها ، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول ﷺ ويقتدون بأمره [٥] ، كما جاء في الحديث: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**» [٦] . ومن سنن الدعوات أن مسيراتها تمر بالفتن والمحن وتبتلى من أصدقائها وأعدائها ، وحرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «**ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون**

---

(١) عمدة القاري (١٩ / ٢٢٣٩) .
(٢) البخاري رقم (٣٧٢٠) .
(٣) تحفة الأحوذي (١٠ / ٢٤٦) .
(٤) مسلم رقم (٢٤١٤) .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦ ، ٢٧) .
(٦) دراسات تربوية للأعظمي: ص (٢٠٦) .

ويفعلـــون ما يؤمنون» [١] فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقي والإخلاص والفـداء الـتي هـي أبرز صفات الحواريين ، فيكون مثالاً حقيقياً لورثة الأنبياء ، فيسعى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها ، ويضحي في سبيل الله بكل غال ونفيس ليجدد للإسـلام شـبابه ونـضارته ، في الـوقت الـذي يكـون سـاقطو المهمـة لا هم لهم إلا مصلحتهم الشخصية [٢] .

والـزبير بـن العوام ﷺ ، نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني ، فقد تربى في أحضان الدعوة على يـدي الـنبي ﷺ ، وتلقـى الجـرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر ، وموقف الـزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول ﷺ ، وأثبتت الأيام أنه كان ﷺ رجل المهمات الصعبة ، فقد اتصف بالجرأة والإقدام وكلف بمهمة كـشف أسـرار العـدو ، ومـا حـدث مـع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدعاة كل حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته [٣] . هذا وقد شارك الزبير في كـل غـزوات الرسـول ﷺ وكانـت لـه مواقف مشرفة ، وكان في عهد الخلفاء الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة ﷺ .

٦ – في غـــزوة اليرمـــوك: عـن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم . فقالوا لا نفعل ، فحمل عليهم حتـى شـق صـفوفهم ، فجـاوزهم ومـا معـه أحـد ، ثم رجع مقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضـربتين علـى عاتقـه بيـنهما ضـربة ضـربها يـوم بـدر . قال عروة: أدخل أصابعي في تلك الـضربات ألعب وأنا صغير . قال عروة: وكان معهم عبد الله بن الزبير يومئذ وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكل به رجلاً [٤] ، قال الذهبي في السير معلقاً هذه الواقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله ، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين [٥] .

وذكرابن كثير أن الموقعة هي (اليرموك) ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين . فقد قال ابـن كـثير: وقـد كـان فـيمن شـهد (اليرمـوك) الـزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦ ، ٢٧) .
(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية: ص(٢٠٧) .
(٣) دراسات تربوية: ص (٢٠٨) .
(٤) البخاري رقم ٣٩٧٥ .
(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ٦٣) .

الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، واجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ ، فقالوا ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال إنكم لا تثبتون . فقالوا: بلى . فحمل وحملوا ، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو ، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر ، وعاد إلى أصحابه . ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى ، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه ، وفي رواية: جرح[١] . ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهداً ، فشهد اليرموك ، فشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء ، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين ، من أولهم إلى آخرهم[٢] .

٧ – في فتح مصر: ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال ، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو ، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً ، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل ، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير ، المقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد ، وقال آخرون خارجة بن حذافة هو الرابع ، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف ، على كل ألف منهم رجل مقام ألف . وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[٣] ، وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصراً حصن بابليون فلم يلبس الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن ، ثم فرق الرجال حول الخندق ، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر ، فقيل للزبير إن بها الطاعون . فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[٤] .

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص ، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر وسعه السيف ، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو ، خوفاً من أن ينكسر فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين ، فانتهت بفتحة المعركة الحاسمة لفتح مصر ، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب

---

(١) البداية والنهاية (١ / ٦٣) .
(٢) المصدر نفسه (٧ / ٢٦٠) .
(٣) فتوح مصر والمغرب: ص (٦١) ، قادة فتح الشام ومصر: ص (٢٠٨ – ٢٢٦) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١ / ٥٥) .

المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس [١].

٨ – غيرة الزبير بن العوام ﷺ: عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها – قالت: تزوجني الزبير ﷺ وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء وأخرز غربه، وأعجن ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول ﷺ على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ، قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «أخ أخ»، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني [٢].

٩ – تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء: من شدة حب الزبير ﷺ للشهادة، كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إن طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وإني أسمي بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر ابن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك [٣].

١٠ – إخفاء الطاعات عند الزبير: قال الزبير بن العوام ﷺ: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل [٤].

١١ – ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير: مر الزبير بمجلس من

---

(١) قادة فتح الشام ومصر ، ص: (٢٠٩ – ٢٢٧).
(٢) حياة الصحابة (٢ / ٦٩١) ، وأصحاب الرسول (١ / ٢٨١).
(٣) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الرشدين ص (٥٠٥) ، الطبقات (٣ / ١٠١).
(٤) الزهد لابن المبارك: ص (٣٩٢).

أصحاب رسول الله ﷺ وحسان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير ثم قال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبي وهديه ::: حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه ::: يوالي ولي الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي ::: يصول إذا ما كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها ::: بأبيض سباق إلى الموت يرقل [١]
وإن امرؤ كانت صفية أمه ::: ومن أسد في بيتها لمؤتل [٢]
له من رسول الله قربى قريبة ::: ومن نصرة الإسلام مجد مؤتل [٣]
فكم كربة ذب الزبير بسيفه ::: عن المصطفى والله يعطي فيجزل
ثناؤك خير من فعال معاشر ::: وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل [٤]

١٢ – كرم الزبير بن العوام ﷺ: روي عن عروة بن الزبير أنه قال: أوصى إلي الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود وعبد الرحمن، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم [٥]، وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي، وتبعاً لذلك يسخر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شيء من الفتور، فأما أن يتكفل مثل هذا الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة، ويحفظ لهم أموالهم فهو نموذج فريد في عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى الصحابة ﷺ [٦].

١٣ – وقد حان وقت الرحيل.. وشهادة رسول الله له بدخول الجنة: خرج الزبير بن العوام ﷺ من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بينا الأسباب في تركه لساحة

---

(١) يرقل: يسرع: وهو سرعة الإبل.
(٢) في الديوان، وعند الحاكم لمرقل: وهو العظيم المبجل.
(٣) سير أعلام النبلاء (١ / ٥٦).
(٤) المصدر نفسه (١ / ٥٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ١٣١).
(٦) التاريخ الإسلامي (١٧ / ١٣١).

المعركة وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تـــرك الأمـــور التي أخشى عواقبها ::: في الله أحـــسن في الدنـــيا وفي الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقـــد علمـــت لو أن علمي نافعي ::: أن الحـــياة مـــن الممـــات قريب [١]

وبعد خروجه تبعه عمر بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال: بل أدركه عمرو بن جرموز فقال لـه عمـرو: إن لي إليك حاجة فقال: ادن فقال مولى الزبير واسمه عيطة إن معه سلاحاً. فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة. فقال لـه الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فـتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله، ويقال: بل أدركه عمرو بواد يقال لـــه وادي الـسباع وهـو نـائم في القائلـة [٢]، فهجـم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر، ويشهد لـه شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها، وكانت قـبله تحت عمرو بن الخطاب فقتل عنها، وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها، فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

غـــدر ابـــن جـــرموز بفـــارس بهمة ::: يـــوم اللقـــاء وكـــان غر معرد [٣]

يـــا عمـــرو لـــو نبهـــته لـــوجدته ::: لا طائـــشاً رعش الجنان [٤] **ولا اليد**

ثكلـــتك أمـــك أن ظفـــرت بمـــثله ::: ممـــن بقـــى ممـــن يـــروح ويغتدي

كـــم عمـــرة قـــد خاضـــها لم يثنه ::: عـــنها طرادك يا ابن فقع العرند [٥]

والله ربي إن قـــــتلت لمـــــسلماً ::: حلـــت علـــيك عقـــوبة المعتمد [٦]

ولـما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب بها إلى علي، ورأى أن ذلك يحصل لـه بـه حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «**لكل نبي حواري وحواريي الزبير**» [٧]، ولـما رأى علي سيف الزبير قال إن هذا

---

(١) سير أعلام النبلاء (١ / ٦٠).

(٢) القائلة: وقت اشتداد حر الظهيرة.

(٣) معرد: المعرد: الصلب والشجاع.

(٤) الجنان: القلب

(٥) البداية النهاية (٧ / ٢٦١)، العرند: الصلب الشديد.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(٧) فضائل الصحابة (٢ / ٩٢٠).

السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله [١] ، وفي رواية: منع أمير المؤمنين علي ابن جرموز من الدخول عليه ، وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار [٢] ، ويقال إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي ، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه ، فقيل لمصعب إن عمرو بن جرموز ههنا وهو مختفي ، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقيد [٣] للزبير منه ، فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير [٤] .

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيداً ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء ، فتحرك فقال رسول الله ﷺ : «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ﷺ [٥] ، قال النووي: وفي الحديث معجزات لرسول الله ﷺ منها إخباره أن هؤلاء شهداء ، وماتوا كلهم - غير النبي ﷺ وأبي بكر - شهداء ، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير ﷺ قتلوا ظلماً شهداء ، فقتل الثلاثة مشهور ، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال ، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال ، فأصابه سهم فقتله ، وقد ثبت أن من قتل مظلوماً فهو شهيد [٦] .

قال الشعبي: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: علي وعثمان وطلحة والزبير في الجنة ، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن البدريين ومن أهل بيعة الرضوان ، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه ﷻ ورضوا عنه ، ولأن الأربعة قتلوا ، ورزقوا الشهادة ، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة [٧] .

١٤ - **حرصه على أداء دينه عند الموت**: عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه ، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي . قال: فوالله ما دريت ما أراد ، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دين إلا

---

(١) البداية النهاية (٧ / ٢٦١)

(٢) الطبقات ٣ / ١٠٥) إسناده صحيح ، خلافة علي: ص (١٦٤) عبد الحميد .

(٣) أقيد: قود: القتل بالقاتل

(٤) البداية النهاية (٧ / ٢٦١)

(٥) مسلم رقم (٢٤١٧) .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٢٧١) .

(٧) سير أعلام النبلاء (١ / ٦٢) .

قلت: يا مولى الزبير اقض عنه ، فيقضيه ، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة . قال: فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين ، فبعتها - يعني وقضيت دينه - فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا . فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه ، فجعل كل سنة ينادي بالموسم ، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم ، وكان للزبير أربع نسوة فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف [١] ، وقول البخاري ، رحمه الله ، محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمة [٢] ، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير [٣] ، وبارك الله له في أراضيه بعد موته ، فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير ، وفي هذه القصة دروس وعبر وفوائد:

أ - قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي ، وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوي الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل ، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات ، فالمؤمن الحق يعتقد جازماً بأن كل شيء بيد الله جل وعلا ، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء ، وأن المخلوقين الذين يشكلون طرفاً آخر في قضيته إنما هم في قبضة البارئ جل وعلا ، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء ، فليلجأ إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته ، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى موصلة إلى النتائج المطلوبة ، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدر هو الله تعالى ، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها [٤] المعروفة .

ب - هل كان الزبير ﷺ من الأثرياء؟ نرى النص السابق ينطق بأن الزبير ﷺ ، ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك ، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما في ذمته من أموال وديون ، وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال ، كما ينطق هذا النص أيضاً بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه ، بل

---

(١) البخاري رقم (٣١٢٩) .
(٢) شذرات الذهب (١ / ٢٠٩) .
(٣) الإصابة لابن حجر (٢ / ٤٦١) .
(٤) التاريخ الإسلامي (٢٠ / ٣٠٩) .

كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول لـه أبوه: أفترى يبقى ديننا من مالـنا شيئاً؟ فلا يجد عبد الله جواباً لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما يتوقع أبوه، لأجابه مطمئناً إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدر ويتوقع، بل تجده يجاري أباه صراحة في توقعه، فيسأله - عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه -: من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطاً بثروة أبيه، عارفاً بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلـك الـوقت في سن الخامسة والثلاثين، ومن يكن في مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهـيراً لأبيه عالماً بكل أحواله وأمواله، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير لـه: أفترى يبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بـل إن عـبد الله صـرح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هيناً، فيقول: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه، فيقضه [١].

ومـما يـشهد أيـضاً بأن الزبير لم يكن معدوداً من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله، أن حكيم بن حزان ﷺ - وهو ابن عم الـزبير - تلقـى عبد الله بن الزبير فيقول لـه: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون فـإن عجزتم عن شيء منه، فاستعينوا بي [٢]. ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر ﷺ لعبد الله بـن الـزبير - وكـان لـه عند الزبير أربعمائة ألف - فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله بن الزبير: لا. قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم [٣].

فهـذه شـهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعدانـه ممـن يحـتاج إلى عـون ومـساعدة، ثـم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحـواله، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عـبد المطلـب عمـة الرسول ﷺ وهو يتعامل معه أخذاً وعطاء واقتراضاً وائتماناً، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير ﷺ، ما كان من أصحاب الثروات [٤].

وقـد فـشا فـيما فـشا عـن ثـروة الـزبير وغـناه الحديث عن عبيده وخيوله، ففي بعض

---

(١) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٢) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٣) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٤) الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب ص (٩).

المصادر أنه كان له ألف مملوك ، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم ، فما يدخل إلى بيته منها درهم واحد ، يتصدق بذلك جميعه [١] .

لكن المستشرق الذائع الصيت "ول ديورانت" جعل الألف عشرة آلاف ، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد . ثم أضاف إليها ألف جواد [٢] ، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه [٣] ، وهذا الخبر لا تقف أمام رواية البخاري ، إذ جاء فيها "فقتل الزبير ولم يترك ديناراً ولا درهماً ، إلا أرضين منها الغابة ، وإحدى عشرة داراً بالمدينة ، وداريـن بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر [٤] ، فالرواية واضحة ، وهي بأسلوب الحصر ، وفي مقام الحديث عن هم الدين ، والكرب التي كانت في سبيل سداده ، فلو كان هناك ألف مملوك ، لكان لها ذكر ، ولثمنها قيمة وقدر ، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم[٥] ، فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً؟! هذا كله على فرض أنها كانت ألفاً فقط ، أما إذا أخذنا بشطحة ول ديورانت ، وأنها عشرة آلاف مملوك ، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها ، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها - مهما كان بخساً - أن يسدد ديونه ، ويغرق ورثته في لجج الثراء ، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لديني . ولا أن يسأله: أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئاً؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني ، فاستعن عليه بمولاي [٦] .

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب ، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين على وعصره ، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي ، كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية ، فبيان سيرتهم ، وأخلاقهم وصفاتهم واجب علينا ، وحتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات ، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة ، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة ، فالحديث عن

---

(١) سير السلف الصالحين (١ / ٢٢٧) في إسناده ضعف .
(٢) الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ص (١١) .
(٣) المصدر نفسه ص (١٣) .
(٤) البخاري (٣١٢٩) .
(٥) الزبير بن العوام ، الثروة: ص (١٤) .
(٦) البخاري رقم (٣١٢٩) .

سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي أسهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي ﷺ ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين .

ثاني عشر : سيرة طلحة بن عبيد الله ﷺ واستشهاده :

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي [١] ، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب ، ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة ، وعدد ما بينهم من الآباء سواء [٢] ، وأمه ﷺ الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي [٣] ، أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة [٤] ، وطلحة ﷺ أحد العشرة الذين بشروا بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ﷺ وأحد الستة أصحاب الشورى [٥] .

١ - إسلامه وابتلاؤه وهجرته: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى ، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم ، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم ، أنا . فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل ، وحرة [٦] وسباخ [٧] ، فإياك أن تسبق إليه . قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة ، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم ، محمد بن عبد الله الأمين تنبأ ، وقد تبعه ابن أبي قحافة . قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر ، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم ، فانطلق إليه ، فادخل عليه ، فاتبعه ، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير . وأخبر طلحة بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر بطلحة ، فدخل به على رسول الله ﷺ ، فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب ، فسر رسول الله ﷺ ، فلما أسلم أبو بكر

---

(١) الإصابة (٢ / ٢٢٠) ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (٢ / ٢١٠) .
(٢) فتح الباري (٧ / ٨٢) .
(٣) الإصابة (٢ / ٢٢٠) .
(٤) المصدر السابق (٤ / ٣٣٧) ، فتح الباري (٧ / ٨٢) .
(٥) المستدرك للحاكم (٣ / ٣٦٩) ، عقيدة أهل السنة في الصحابة (١ / ٢٢٨) .
(٦) حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات .
(٧) سباخ: جمع سبخة ، وهي أرض ذات الحجارة السود النخرات .

وطلحة بن عبيد الله ، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم وكان نوفل يدعى أسد قريش ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين [١] .

هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذى كبيراً من المشركين ، ومن عشيرته الأقربين ، وبقي طلحة ﷺ صابراً على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة ، ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة لقيه طلحة قادما من الشام في عير ، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب الشام ، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من تجارته ، ثم خرج بعد ذلك بآل أبي بكر ، فهو الذي قدم بهم المدينة ، فطلحة من المهاجرين الأولين ﷺ [٢] ، ولما قدم المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبي أيوب الأنصاري [٣] ، وقيل كعب بن مالك الأنصاري ، حين آخى بين المهاجرين والأنصار [٤] .

٢ – في غزوة بدر: كان طلحة بن عبيد الله ﷺ ، قد كلف بتحسس عير قريش ، وذلك لما تحين رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش ، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد بن زيد ، رضي الله عنهما ، يأتيانه بالأخبار ، فخرجا وبلغا الحوراء ، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير ، فتساحلت ، فعادا إلى المدينة بالأخبار ، وكان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر فأسرعا لينضما إلى الجيش ، إلا أنهما لم يدركا المعركة ، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما ، سهماً كالمقاتلين ، وأجراً كالمجاهدين [٥] .

٣ – في غزوة أحد، أوجب طلحة ﷺ: عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة ، فأدركه المشركون ، فقال النبي ﷺ : «**من للقوم؟**» قال طلحة: أنا . قال: «**كما أنت**» ، فقال رجل من الأنصار: أنا ، فقاتل حتى قتل ، ثم التفت ﷺ ، فإذا المشركون ، فقال: «**من لهم؟**» قال طلحة: أنا: قال: «**كما أنت**» ، فقال رجل من الأنصار: أنا . قال: «**أنت**» ، فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة) فقال: «**من للقوم؟**» قال طلحة: أنا . فقاتل طلحة قتال الأحد عشر ، حتى قطعت أصابعه فقال: حسبي . فقال رسول الله ﷺ : «**لو قلت بسم الله لرفعتك**

---

(١) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨) .
(٢) المصدر نفسه (٧ / ٢٥٨) ، فرسان من عصر النبوة: ص (٢٢٥) .
(٣) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨) .
(٤) فرسان في عصر النبوة: ص (٢٢٥) ، الاستيعاب لابن عبد البر .
(٥) الحاكم في المستدرك (٣ / ٣٦٩) . الاستيعاب (٤١٨٨) .

الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين [١]، وعند أحمد: فقال لـه النبيﷺ : «**لو قلت بسم الله لرأيت يبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حي في الدنيا**» [٢]، وعـن قـيس بن حازم قـال: رأيـت يـد طلحـة شـلاء وقى بها النبيﷺ يوم أحد [٣]، وجرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين، أو خمساً وثلاثين وشلت أصبعه - أي السبابة والتي تليها - [٤].

وروى أبـو داود الطيالـسي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يـوم أحـد قال: ذلك اليوم كله لطلحة [٥]، وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح أبـونا يـوم أحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقطع نساه - يعني العـرق - وشـلت إصبعه، وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغشي - الإغماء - ورسول اللهﷺ يـرجع بـه القهقـرى، كلمـا أدركـه أحـد مـن المـشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب[٦]، حتى قال عنهﷺ : «**أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع**» [٧].

٤ - شـــهيد يمشي على الأرض: عـن أبـي هريرة ﷺ أن رسول اللهﷺ كان على جـبل حـراء، فتحـرك. فقـال رسـول الله: «**اســكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شـــهيد**»، وعلـيه الـنبيﷺ وأبـو بكـر وعمـر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص[٨] فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المـصطفىﷺ ظل يبحث عن شهادته في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبيﷺ عدا غزوة بـدر [٩]، فقـد كان في مهمة كلفه بها رسول اللهﷺ كما مر معنا، وقال عنه النبيﷺ : «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**» [١٠].

٥ - مـــن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه: عـن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول اللهﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى

---

(١) السلسلة الصحيحة رقم (٢١٧١)، الحديث حسن بمجموع طرقه.
(٢) فضائل الصحابة رقم (١٢٩٤) إسناده صحيح.
(٣) البخاري رقم (٤٠٦٣).
(٤) البخاري (٧ / ٣٦١) أصحاب الرسول (١ / ٣٦٤).
(٥) فتح الباري (٧ / ٣٦١).
(٦) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٢).
(٧) صحيح الجامع للألباني رقم (٢٥٤٠).
(٨) مسلم رقم (٢٤١٧).
(٩) أصحاب الرسول (١ / ٢٦٠).
(١٠) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).

نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته ، يوقرونه ويهابونه ، قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم إني اطلعت من باب المسجد - يعني طلحة - وعلى ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال:: «**أين السائل عمن قضى نحبه؟**» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله . قال: «**هذا ممن قضى نحبه**» [١] .

٦ - دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم: عن مالك بن أبي عامر ، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني ، هو أعلم لحديث رسول الله منكم - يعني أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم ، قال: أما أن قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع ، فلا أشك ، وسأخبرك ، إنا كنا أهل بيوت وكنا إنما نأتي رسول الله ﷺ غدوة وعشية ، وكان مسكيناً لا مال له - أبو هريرة - إنما هو باب رسول الله ، فلا أشك أنه سمع ما لم نسمع ، وهل تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل [٢] .

٧ - إنفاقه في سبيل الله: عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة ، فما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه [٣] ، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه ماله من حضرموت سبعمائة ألف ، فبات ليلته يتململ . فقال: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك ، فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه . فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق ، وهي أم كلثوم بنت الصديق ، فلما أصبح دعا بجفان ، فقسمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى علي منها بجفنة ، فقالت له زوجته: أبا محمد ، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي: قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم [٤] .

وعن سعدى بنت عوف المرية ، قالت: دخلت على طلحة يوماً وهو خاثر [٥] ، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله ، نعم خليلة المسلم أنت ، ولكن مال عندي قد غمني . فقلت: ما يغمك؟ عليك بقومك ، قال: يا غلام ادع لي قومي ، فقسمه فيهم ، فسألت الخازن ، كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف [٦] ، وعن الحسن البصري أن طلحة بن عبيد الله باع

---

(١) رواه الترمذي بإسناد حسن رقم (٣٧٤٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٧) إسناده حسن .
(٣) الحلية (١ / ٨٨) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٣٠ ، ٣١) .
(٥) خاثر النفس: غير نشط .
(٦) مجمع الزوائد (٩ / ١٤٨) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

أرضاً لـه بسبعمائة ألف فبات أرقاً من مخافة ذلك المال ، حتى أصبح ففرقه[١] .

وعـن علي بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله ، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لـرحم ما سألني بها أحد قبلك ، إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها ، وإن شئت بعـتها مـن عثمان ، ودفعت إليك الثمن فقال: الثمن ، فأعطاه وكان ﷺ لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه وقضى دينه ، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف [٢] ، إنـه طلحـة الخـير ، وطلحـة الفـياض ، وطلحـة الجود [٣] ، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير ، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسـى بن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد [٤] ، فأطعمهم وسقاهم فقال النبي ﷺ : «**يا طلحة الفياض**» . فسمي طلحة الفياض[٥] .

٨ – مـــن فـــرائد أقواله ودرر جواهر كلامه: فمن أقواله: إن أقل عيب الرجل جلوسه في بيته [٦] ، ومما حفظ عنه قولـه: الكسوة تظهر النعمة ، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء [٧] . ولطلحة ﷺ آراء ثاقبة وصحيحة في الناس ، فكان لا يشاور بخيلاً في صلة ولا جباناً في حرب [٨] .

٩ – شهادة طلحة بن عبيد الله ﷺ: لـما حضر يوم الجمل واجتمع به علي فوعظه تأخـر فوقـف في بعـض الـصفوف ، فجـاءه سـهم غرب فوقع على ركبته ، وقيل في رقبته ، والأول أشـهر ، وانـتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كان يلقيه ، وجعل يقول: إلى عباد الله ، فأدركه مولى لـه فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ، ويقال: إنـه مـات بالمعـركة ، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب [٩] ، ثم قـال: عزيـز علـي أبـا محمـد أن أراك مجـندلاً في الأوديـة ، ثـم قـال: إلى الله أشـكو عجزي

---

(١) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٣١) .
(٣) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٧) .
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨) .
(٥) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ، النهاية (٤ / ٣٧) .
(٦) المستدرك (٣ / ٣٧٤) ، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه ، مختصر تاريخ دمشق (١١ / ٢٠٣) ، يقصد أن العزلة بعد عن الاهتمام .
(٧) فرسان من عصر النبوة ، ص (٢٣٧) .
(٨) فرسان من عصر النبوة ، ص (٢٣٧) .
(٩) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٨) .

ويجري[١] ، وترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين عام [٢] ، ولا شك أن طلحة بن عبيد الله ﷺ ، من أهل الجنة ، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ : «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» . ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا [٣] . ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة ﷺ ، حيث شهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة ، وأكرم بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة [٤] .

١٠ – حفظ الله له بعد موته: إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله ﷺ بعد موته ، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عاماً ، ونقلوه إلى مكان آخر ، فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقي لحيته ، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجل عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان ، فإن النز – الرطوبة أو الماء – قد آذاني . فركبت في حشمها ، فضربوا عليه بناء واستثاروه . قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقي لحيته ، أو قال: رأسه ، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة [٥] ، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين .

١١ – سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعلي وطلحة والزبير ﷺ: عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي ﷺ فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني ، فأبى ، فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول ، فأرني فيه اليوم آية واجعله عبرة ، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس ، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته [٦] والبلاط فسحقه حتى قتله . قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك[٧] .

* * *

(١) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي .
(٢) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين (٥٢٨).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) ، والترمذي (٣٧٥٧) حديث حسن .
(٤) عقيدة أهل السنة (١ / ٢٩٣) .
(٥) أصحاب الرسول (١ / ٢٧٠) .
(٦) الكركرة: الصدر .
(٧) البداية والنهاية (٧ / ٢٥٩) .